

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1: M20105072798

رقم التسجيل: ط2: M201535096230

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص :

أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان :

دراسة سيميائية العنوان والشخصيات في رواية
"أولاد حارتنا " لنجيب محفوظ

إعداد الطلبة:

-محمد ثامر

- سيواني صارة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	محاضر أ	سعدون محمد
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	محاضر ب	بختي البشير
مناقشا	جامعة المسيلة	محاضر أ	بوضياف أحمد أمين

السنة الجامعية 1440-1441هـ/2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ
تُضَوِّبُ السَّحَابَ الْمَوْبِقَ
الَّذِي يُسْقِطُ مِنَ السَّمَاءِ
مِائِدًا مِّن مَّاءٍ طَهُورًا
مَّا يَشْرَبُونَ
وَالَّذِي يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ
مِائِدًا مِّن مَّاءٍ طَهُورًا
مَّا يَشْرَبُونَ
وَالَّذِي يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ
مِائِدًا مِّن مَّاءٍ طَهُورًا
مَّا يَشْرَبُونَ

الشكر والعرفان .

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل
النعم التي أنعم بها علينا وعلى نعمة العلم والتوفيق
لإنجاز هذا العمل.

نتقدم بالشكر للأستاذ الفاضل "بختي البشير" على
إشرافه وعلى كل ما قدمه لنا من الدعم والتوجيه
والمساندة .

وكل الشكر للدكاترة الذين تفضلوا بقبول مناقشة
هذا العمل وأتقدم بالشكر الخاص إلى كل من ساهم في
إعداد هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة .



أهدي ثمرة تعبى وجهد السنين إلى كل عائلة سيواني إلى اللذين قال فيهما الله:

"ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً "

إلى من أشرق لي الحياة ورحل

إلى من علمني الصبر وبعث في قلبي الأمل

إلى من طفأ فتيله وهو ينير نهجي إلى القمر الذي أفل أبي الراحل الطاهر رحمك

الله .

إلى من أهدتني حياة الرخاء .

إلى من علمتني سبل البقاء دون عناء

إلى رمز العطاء ومنبع الوفاء انحنى بثناء أمي الغالية "فاطمة " حفظك رب السماء

إلى من توسدت معهم حزن الحنان وشاركوني أفراحي وأقراحي إخوتي أخواتي إلى

وردتي "حنان " .

إلى من حل محل قلبي ودون أفكاري

إلى من قاسمني الألم وانتظر نجاحي

إلى من دعمني بوجوده إلى أهلي وسندي زوجي الغالي "توفيق "

إلى أستاذي المشرف وإلى كل عائلتي الجامعية

أهدي نجاحي وأرفع قبعة تخرجي احتراماً وفخراً للسنين التي مضت من مكان تكوني

كلية الآداب و اللغات جامعة محمد بوضياف بالمسيلة .

*****إهداء*****

أهدي هذا العمل:

إلى

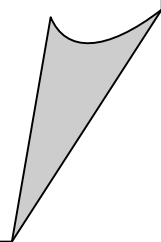
والديّ الأعزاء اللذان سهرنا من أجلي.

وإلى إخوتي وأخواتي

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.. وأخص بالذكر** حريزي رشيد** وحريزي يوسف(محمد)** اللذان مدا لي يد العون طيلة إنجاز هذا البحث.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل أيضا إلى جميع المواطنين الذين ساهموا في الحفاظ على وطننا الحبيب*الجزائر* خاصة في هذا الظرف الصعب الذي يمر به البلد.... كما أتوجه إلى المولى عز وجل بالدعاء والتضرع بأن يحفظ وطننا*الجزائر* وأن يرحم جميع الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل هذا الوطن.

مقدمة



مقدمة

أسهمت معرفة السيميائية في فتح مجالات البحث وتنمية الحس النقدي عند الباحث ووسعت دائرة اهتمامه بصورة جعلته ينظر إلى الظاهرة الأدبية أو الاجتماعية بعمق. وقبل الولوج إلى دراسة النص تهتم السيميائية بالعتبات وهو الإطار الذي يحيط بالنص ويعد العنوان من أهم العتبات النصية، حيث يسهم في توضيح دلالات النص فهو المفتاح الضروري لكشف أغواره والتعمق في تفاصيله، وهو الأداة التي يتحقق بها اتساق النص وانسجامه. كما أولت الدراسات السيميائية اهتماما واضحا بالشخصية الروائية لأنها تحقق وحدة دلالية وتقوم ببناء الرواية، فهي تعد بمثابة المحور والركيزة التي تدور حولها باقي عناصر الرواية إذ يساعد هذا العنصر في إبراز الجانب النفسي والثقافي والاجتماعي لكاتب النص الروائي وكل شخصية روائية لها إيديولوجية معينة وفكرة يراد إيصالها إلى القارئ، واعتمادا على ما سبق ذكره فقد عنونا بحثنا ب "دراسة سيميائية العنوان والشخصيات في رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ"، وكان لزاما علينا ونحن ندرس النص الروائي أن نتطرق إلى مجموعة من الأسئلة ومنها :

ما هي السيميائية وما هي مبادئها؟ فيما تكمن أهمية العنوان وفيما تتجلى أنواعه ووظائفه؟ وإلى أي مدى وفق الكاتب في اختياره لأسماء شخصياته الروائية؟

وقد اخترنا المنهج السيميائي في دراسة هذه الرواية نظرا لما يملكه المنهج السيميائي من إمكانيات لتقصي دلالات النص العميقة والموجودة في باطنه، ولعل من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هي رغبتنا في التطرق إليه بغية معرفة مدى استجابة المنهج السيميائي لقراءة النص الأدبي وتعميق فهمنا للرواية، وتكمن أهمية موضوعنا في أنه سعى إلى الكشف عن سيميائية عنوان الرواية وشخصياتها داخل النص الروائي .

ومنه، فسيميائية العنوان كموضوع للدراسة والبحث يعد سبقا جديدا في الدراسات الأدبية المعاصرة ونذكر منها دراسات لـ: محمد فكري الجزار "سيميائية العنوان" من خلال ما طرحه في كتابه "العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي" كما كان للشخصية الروائية دراسات سابقة في مجال البحث السيميائي من أعمال "فلاديمير بروب وغريماس" وغيرهم وتوالت الدراسات إلى أن وصلت إلى العرب وأصبحت تطبق على الأعمال الأدبية وانجاز المذكرات والأعمال.

وقد سرنا لنسج خيوط بحثنا هذا على خطة وارتأينا أن يحمل على مبحثين وقد خصصنا المبحث الأول للجانب النظري وحمل عنوان دراسة نظرية للمفاهيم العامة واحتوى على ثلاثة أقسام: الأول مفهوم السيمياء ونشأتها، مبادئها، والثاني تناولنا فيه المفهوم والوظائف والأنواع والأهمية أما القسم الثالث، فخصص لدراسة الشخصية مفهوما وأصنافا .

بينما المبحث الثاني ارتأيناه تطبيقيا، وقد ضم قراءة في سيميائية العنوان الرئيس معجميا وتركيبيا ودلاليا ودراسة لشخصيات الرواية، وقبلها دراسة لسيميائية الغلاف تستهل المبحث.

ولقد عمدنا في دراستنا إلى تبني المنهج السيميائي الذي يحمل شعار دراسة النص في ذاته ومن أجل ذاته والانفتاح على دلالاته القريبة والبعيدة، السطحية، العميقة، وبناء على ما أثبتته هذا المنهج من فعالية ونجاح في مقارنة النصوص الروائية حاولنا تطبيقه على رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ.

وبحثنا كأى بحث لا يخلوا من بعض الصعوبات وقد كانت استثنائية في هذه المرحلة وتمثلت في عدم القدرة على الاتصال المباشر مع المشرف بسبب جائحة كورونا تفاديا لانتقال العدوى وحفظا للسلامة .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان إلى من قادنا في مسيرتنا والذي مد لنا العون في انجاز هذا البحث الأستاذ المشرف "بختي البشير" .

كما نشكر لجنة المناقشة على تفضلها لقراءة البحث ومناقشته، وفي الأخير نوجه الشكر لكل من ساندنا في إعداد بحثنا.

مدخل

تزخر الساحة النقدية الأدبية بمصطلحات حديثة صارت تجذب القارئ والباحث إليها، ومن بين هذه المصطلحات "السيمائية" التي عرفت انتشارا واسعا في المرحلة الأخيرة. ويمكننا القول أن الإشارات والعلامات المحيطة بنا تكاد أن تتكلم عن نفسها، قد نعلمها نحن وقد نجهلها، إذن فالعالم مليء بالعلامات والإشارات وبالرموز والشفرات التي استدعت في مجموعها حضور علم كان يجب أن يكون. ليعمل إلى جانب باقي العلوم الأخرى والذي يقوم على نظام الاعتباطية ذلك العلم هو "السيمياء"¹.

فإذا أردنا الحديث عن حضور هذا العلم في الساحة النقدية، فهو يحتل مكانة مميزة في المشهد الفكري المعاصر. ومنه فالسيمائيات نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداده ومردوديته وأساليبه التحليلية. إنها علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية. كما أن موضوعه غير محدد في مجال بعينه، فالسيمائيات تهتم بكل مجالات العقل الإنساني، إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءًا من الانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى².

¹ - عبد القادر رحيم: علم العنونة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 2010، ص17.
² - سعيد بن كراد: سيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها) منشورات الزمن، الدار البيضاء المغرب، د ط، 2003، ص16.

الفصل الأول: نشأة السيمياء ومبادئها

المبحث الأول: نشأة السيمياء و مبادئها

المطلب الأول: ماهية السيمياء

- 1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للسيمياء
- 2- نشأة السيمياء وروادها
- 3- مبادئ السيمياء

المطلب الثاني: سيميائية العنوان

- 1- ماهية العنوان
- 2- وظائف العنوان
- 3- أنواع العنوان
- 4- أهمية العنوان

المطلب الثالث: سيميائية الشخصية

- 1- المفهوم العام للشخصية
- 2- تقديم الشخصية
- 3- أصناف الشخص

المطلب الأول: ماهية السيمياء

1- تعريف السيمياء:

1-1 - لغة

تنحدر كلمة السيمياء من الأصل اليوناني المكون من كلمتين: semeiom الذي يعني علامة و logos الذي يعني الخطاب و الذي نجده مستعملا في كلمات مثل sociologie علم الاجتماع... وbiologie علم الأحياء... وتعني كلمة logos العلم، فيصبح تعريف السيمولوجيا على النحو الآتي علم العلامات¹.

وكلمة سيمياء لها ما يعادلها في اللغة العربية ومنها ما ورد في أساس البلاغة "سومفرسه" أعلمه بوسمة وهي العلامة².

وقال ابن منظور "مسومة" بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة، وفي قوله تعالى: "لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة" وقال الجوهري: مسومة عليها أمثال الخواتيم³

وفي اللغة العربية مفردات تحمل نفس الجذر اللغوي، كالسيمة والموسم والوسام والسيميا بالمد والسيمياء بالمد وزيادة الهمزة، كما وردت في صيغ المفرد والجمع. ومصطلح سيميائية ينتقل بنا إلى استعادة المفهوم الإغريقي لمصطلح semion علامة مميزة (خصوصية)، اثر، قرينة، سيمة مؤشرة، دليل، سمة منقوشة أو مكتوبة، بصمة، رسم مجازي⁴.

وقد أشار القران الكريم إلى السيمياء في عدة مواضع ومنها قوله عز وجل: "وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل وصنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"⁵ وقوله تعالى: "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ"⁶ وقال أيضا " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادُّكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ"⁷ هذه العلامات التي جاء بها القرآن هي التي يقال لها السيمياء، وهذه السيميائيات من دون أي شك، تدل على الحقيقة الحسية التي تتحول إلى حقيقة مجردة غائبة.

¹ - توسان برنار: ما هي السيمولوجيا، تر محمد لطيف، ط 2، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص 09.

² - الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: باسل عيون السود، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 587.

³ - جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ج 12، دار صابر، بيروت، 2004، ص 311-312.

⁴ - يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر من الأنسوية إلى الألسينية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002، ص 131.

⁵ سورة الرعد، الآية 4.

⁶ سورة النحل الآية 16.

⁷ سورة آل عمران 41.

السيمياء والسيمياء أصله "وسم" لأنه من الوسم وهو العلامة، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: " مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ"¹، وقال أيضا: " يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ"²، إن السيمياء في المفهوم الغربي لا تخرج عن كونها "معرفة للعلامات ونظرية عامة للتمثيل العلامي، في كل صورة وتجلياته عند الحيوان أو البشر"³.

ويذهب أمبرتو إيكو إلى تمييزها بأنها: "علم يدرس سائر ظواهر الثقافة بوصفها أنظمة للعلامات ... وهي في جوهرها (اتصال)"⁴.

وفي معجم الوسيط وردت كلمة السيمياء مرادفة لكلمة السيمياء حيث جاء ما يلي: تسوم فلان اتخذ سمة ليعرف بها والسومة والسمة والعلامة⁵.

وقال الراجز: "غلام رماه الله بالحسن يافع له سيماء لا تشق على البصر"⁶. ففي قوله له سيماء لا تشق عليه البصر، دليل على أن العرب قد عرفوا لفظا يلتقي في دلالاته ومفهومه مع المعنى الغربي للسيمائية، فورود كلمة السيمياء في هذه المصادر بمعنى العلامة، جعل الباحثين العرب يستخدمون هذا المصطلح استخداما موحدا.

2-1 - اصطلاحا

تسمى السيمائية أحيانا وتسمى السيمولوجيا حيناً آخر وقد خصص (ميكافيتش) لكل مصطلح مرادفاً خاصاً به فالسيمائية أو العلاماتية هي علامة الدراسات المستخدمة لتحقيق التفاهم المتبادل⁷.

أما "جورج مونان"، فيقول: "السيمولوجيا هي دراسة أنظمة الأدلة بما في ذلك اللغات الطبيعية"⁸.

والسيمائيات علم واسع شامل جامع في طياته لكثير من العلوم، ومنها الجانب الأدبي بصفتها علم يدرس كيفية اشتغال الأنساق الدلالية التي يستعملها الإنسان والتي تطبع وجوده وفكره، فحياة الإنسان قائمة على الدلالة إذ في إطارها بنى قيمه الأخلاقية والمعرفية والجمالية. ورغم هذا سنحاول وضع بعض التعاريف التي اقتربت من السيمياء ولو جزئياً، فنجد السيمائية في معناها العام هي نظرية العلامات ومن ثم، فإنها

¹ سورة الفتح آية 28

² سورة البقرة 273

³ سيزام قاسم ونصر حامد أبو زيد: (السيمولوجيا حول بعض المفاهيم والأبعاد) ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيمولوجيا، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر، ط 1، 1987، ص 351.

⁴ -المرجع نفسه، ص 351.

⁵ -إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، معجم اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ج1، ط2، ص465.

⁶ - جمال الدين ابن منظور: لسان العرب مادة، سؤوم من باب السين، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مجلد7، ط1، 2000، ص268.

⁷ - ميكافيتش: اتجاهات البحث اللساني، تر سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل زايد، المجلس الأعلى للثقافة، 2000 ص 351.

⁸ - رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 174.

تشمل وصف كل التجارب الذهنية والدلائل الطبيعية، وإذا كان بعض الدارسين ومنهم "مونان" مثلاً يذهب إلى أنه يتعين على السيميائية أن تقف عند انساق التواصل غير اللغوي¹.

فالسيمياء علم يعنى بدراسة العلامات في الكون ويدرس توزيعها ووظائفها الداخلية والخارجية، وعلى هذا فهو يهتم بكل الإشارات الدالة مهما كان نوعها وأصلها من طقوس ورموز وعادات وإشارات حربية وكتابة ولغة...².

ويقصد من خلال هذا التعريف أن السيميائية هي النظرية التي توظف علم العلامات في دراسة وتحليل أنواع الاتصال والدلالة والمعنى من خلال أنظمة العلامات ليس فقط في المجالات الأدبية واللغوية، بل في مختلف العلوم وشتى أنواع المعرفة، فهي تركز على تطبيقاتها ونتائجها ابتداء من ممارسات الاتصال الحيواني البدائي وانتهاء بنظام الاتصال الإنساني، تعقيدا وتشابكا وتركيبيا، مثل لغة الأساطير والشعر والأدب عامة وعلوم اللغويات والأنثروبولوجيا والسوسولوجيا والسيكولوجيا والرياضة والمنطق الفلسفي والعلوم الطبيعية والإنسانية بصفة عامة³.

معنى ذلك أن السيميائية لا تقتصر على مجال محدود، بل تتعدى إلى مجالات أخرى. فهي تهتم بكل الإشارات مهما كان نوعها وأصلها ومجالها، فالسيميائية بحسب الباحث الغربي (أمبرتو إيكو): "تعني السيميائية بكل ما يمكن اعتباره إشارة" أي تتضمن السيميائية ليس فقط من نسميه في الخطاب اليومي "إشارات" ولكن، أيضا، ما ينبو عن شيء آخر من منظور سيميائي⁴، بمعنى أن الإشارات تأخذ شكل كلمات وصور وأصوات وإيماءات وأشياء.

أما عند ديسوسير، فقد عرف السيمياء بأنها: "علم يدرس حياه العلامات في الحياة الاجتماعية" ويبين قوام العلامة والقوانين التي تسيرها. وفي الوقت نفسه يعتبر (بيرس): "أن المنطق بمعناه العام هو اسم آخر للسيمياء وهي مذهب شبه ضروري وشكلي للعلامات"⁵.

يبدو أن الأمريكي (شارلز ساندرس بيرس) قد ربط هذا العلم بالمنطق، غير أن (دي سوسير) ومن خلال تعريفه قد ربط السيميائية بالمجتمع.

ويعرف (صلاح فضل) السيميائيات، بقوله: "هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة. فصلاح فضل بهذا التعريف يشترط أن تكون الإشارات المدروسة ذات دلالة، لأن السيميائية تدرس دلالة هذه الإشارات. أما (سعيد علواش)، فيعرفها على أنها: "دراسة لكل مظاهر الثقافة كما لو كانت أنظمة للعلامة اعتمادا على افتراض

¹ - محمد القاضي وآخرون : معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الغرابي، لبنان، دار تالة الجزائر، دار العين مصر، دار الملتقى المغرب، ص 17.

² - عبد القادر رحيم: علم العنونة، ص 17.

³ - نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان، مصر، ط1، 2003 ص 365.

⁴ - عبد القادر رحيم: علم العنونة ص 28.

⁵ - لطيف زيتوني: معجم المصطلحات، نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002، ص 111.

مظاهر الثقافة كأنظمة علامات في الواقع¹. (فالسعيد علواش) يربط السيميائية بالثقافة ومظاهرها².

والنص الذي يتلى دوما ... يعتبر كلام ناقص لأن "اللغة نظام علامات يعبر عن أفكار، ولذا يمكن مقارنتها بالكتابة الأبجدية للصم والبكم، أو بالإشارات العسكرية، وبالطقوس الرمزية الخ على أن اللغة هي النظام المطلق³، بمعنى أن اللغة تعبر عن أفكار وهي وسيلة تواصل بين الأفراد وبالنسبة إلى (دي سوسير) السيميولوجيا هي علم يدرس الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية، أما بالنسبة إلى الفيلسوف (تشارلز بيرس)، فحقل الدراسة الذي سمي السيميائية هو الدستور الشكلاني للإشارات⁴.

وأحد أوسع التعريفات قول (أمبرتو إيكو) حين يقول أن السيميائية تعنى بكل ما يمكن اعتباره إشارة⁵، أي أن السيميائية حسب (إيكو)، هي علم الإشارات داخل الحياة الاجتماعية ويرى (رومان جاكسون) أن السيمياء تتناول المبادئ العامة التي تقوم عليها بنية كل الإشارات أيا كانت، فكلها تتناول سمات استخدامها في مراسلات وخصائص المنظومات المتنوعة للإشارة ومختلف المراسلات التي تستخدم مختلف الإشارات⁶.

وخاصة تلك التعريفات تشير إلى أن السيمياء علم يجري وراء الدلالة والمعاني المتداولة في المجتمع وعلم اللسان جزء منه، والسيمياء موضوعها دراسة أنظمة العلامات اللغوية والإشارية، إذن فالدراسة السيميائية للنص الأدبي: ما هي إلا دراسة تغوص في أعماقه وتستكشف مدلولاته المحتملة مع محاولة ربط النص بالواقع المعاش. ولعل أحسن تعريف ما جاء به الدكتوران الروبلي والبازغي في قولهما: "السيميولوجيا لدى دارسيها تعني علم أو دراسة العلامات والإشارات دراسة منتظمة⁷.

2- نشأة السيميولوجيا:

من المعروف أن علم السيميائيات هو علم حديث النشأة، لم يظهر إلا بعد أن أرسى السويسري "دي سوسير" أصول اللسانيات الحديثة في مطلع القرن العشرين مع الإشارة أن هناك أفكارا سيميائية متناثرة في التراثين الغربي والعربي على حد سواء كما أنه علم استمد أصوله من مجموعة من العلوم المعرفية⁸.

¹ فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010، ص 18.

² ترنسوكز: البنيوية وعلم الإشارة، تر: مجيد ماشطا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، ص 113.

³ بير وجيرد: علم الإشارة، السيميولوجيا، ص 23-24.

⁴ -داني التشاندر: أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ص30.

⁵ - المرجع نفسه، ص28.

⁶ - المرجع نفسه، ص 31-32.

⁷ ميجان الروبلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2005، ص 155.

⁸ فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص11.

تضع السيميائيات نفسها باعتبارها حقلا أو موضوعا ناشئا بين موضوعات الدراسة العلمية، حيث غالبا ما يعتقد علماء الإنسانيات أنها صارمة جدا. في حين يرى علماء الاجتماعيات أنها محاطة بالصرامة العلمية الكافية¹.

بما أن السيميائيات هي دراسة الشفرات والأوساط، فلا بد لها أن تهتم بالإيديولوجيا والبنى الاجتماعية والاقتصادية وبالتحليل النفسي والشعرية وبنظرية الخطاب، وقد تأثر تطورها من الناحية التاريخية بقوة البنيوية الفرنسية وبما بعد البنيوية، أي الانثروبولوجيا البنيوية وبحفريات (ميشيل فوكو) وبالفرويدية الجديدة عند "جاك لو كان" ويعلم الكافية عند جاك ديريدا².

وينظر إلى السيميائية على أنها علم تفسير معاني الدلالات والرموز والإشارات وتعد من أحدث العلوم في مجالات الأدب واللغة والنقد، وهي تعتمد على العلامة، واللغة في جوهرها ليست إلا مجموعة من العلامات، فمنذ العصور السالفة كان الإنسان يعتبر اللغة ضربا من الرموز التي يصطلح عليها الناس فيما بينهم³.

ثم إن السيميائيات امتداد للألسنية وتطوير لها، إذ أن الكلمات في حقيقتها رموز وهي تمثل شيئا آخر غير الذي وجدت للتعبير عنه أصلا وتسهم دائما في استدعاء فهم المخاطب قصد بلاغة أمر ما، وتشير إلى دلالات أعمق وذلك ما يتم عن قيمة العلامة *signe* في حياتنا، وقد لا يكون من المجازفة الفكرية في قراءة تاريخ الإنسان أن نصادر على أن رقيه الحضاري من حقبة حديثة إلى أخرى وعند أي أمة وإذا قورنت خصائصها بخصائص الأمم الأخرى، قد يقاس بمدى تبلور فكرة العلامة لديها ومدى حضورها ضمن شبكة الدلالات القصديّة التي تحكم حياته الاجتماعية⁴.

ويعود تاريخ السيميولوجيا إلى ألفي سنة مضت، كما يقول "أمبرتو إيكو" مؤلف رواية اسم الورد وهو يتكلم عن السيميولوجيا ومنه نعلم أن السيميولوجيا ليس علما وليد العصر الحديث كما يزعم معظمهم، وفي مقدمتهم الغرب حيث استعمل في الأصل للدلالة على علم في الطب وموضوعه دراسة العلامة الدالة على المرض. ولا سيما في التراث الإغريقي حيث عُدَّت السيموطيقا جزءا لا يتجزأ من الطب⁵.

¹ -روبرت شولز: السيمياء والتأويل، سعيد الغانمي، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 17.

³ -عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ص 50.

⁴ - المرجع نفسه، ص 71.

⁵ - عبيدة صبطي، بخوش نجيب: مدخل إلى السيمولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر، ط 1، 1430 هـ، 2009 م، ص 9.

- وقد مر علم السيمياء حسب منظور العلماء بمراحل عدة نذكر منها:

- 1- **المرحلة الأولى:** وظف أفلاطون لفظ sémitique للدلالة عن فن الإقناع وهذا ما أورده في كتابه حيث أكد أن للأشياء جوهرًا ثابتًا وأن الكلمة أداة للتواصل، وبذلك يكون بين الكلمة ومعناها تلاؤم طبيعي بين الدال والمدلول. كما اهتم أرسطو هو الآخر بنظرية المعنى وظل عملهما في هذا المجال مرتبطًا أشد ما يكون بالمنطق الصوري، ثم توالى اهتمامات الرواقيين الذين أسسوا للفكر السيميولوجي الذي يقوم على التمييز بين الدال والمدلول¹.
- 2- **المرحلة الثانية:** هي مرحلة القديس الجزائري أوغسطين حسب إيكو فهو أول من طرح السؤال ماذا يعني أن نفسر ونؤول؟ هكذا راح يشكل نظرية التأويل النصي، تأويل النصوص المقدسة وهذه النظرية من الحداثة الجدة، بحيث أنها تشبه تقريبًا نظرية "فنقشتاين" عن اللغة، تقول فريال غزول: "إن أهمية القديس أوغسطين (354-430) تكمن في تأكيده على إطار الاتصال والتواصل والتوصيل عند معالجته لموضوع العلامة"².
- 3- **المرحلة الثالثة:**

فهي مرحلة العصور الوسطى وكانت فترة التأمل بالعلامات واللغة ويمكن ذكر اسم "أبيلاز" واسم "روجيه بيكون"³.

- 4- **المرحلة الرابعة:** حيث نشطت فيها نظرية العلامات والإشارات مع المفكرين الألمان والإنجليز في القرن السابع عشر ويمكن ذلك ذكر اسم كتاب لـ (جون لوك) عام 1690 بعنوان "مقال حول الفهم البشري" يقول (مبارك حنون): "وقد استعمل لوك مصطلح السيميوقراطيا simioties ليعني بها العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط التي يحصل من خلالها على معرفة الفلسفة والأخلاق وتوصيل معرفتها ويكمن هدف هذا العلم في الاهتمام بطبيعة الدلائل التي يستعملها العقل، بغية فهم الأشياء أو لنقل معرفته إلى الآخرين"⁴.

- 5- **المرحلة الخامسة:** وهي التي يتفق جل الباحثين على أنها المرحلة الحاسمة في التحديد العلمي للسيميولوجيا، وهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالنموذج اللساني البنيوي الذي أرسى دعائمه وأسسها العالم السويسري (فردينان دي سوسير) في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة وذلك منذ القطيعة الاستومولوجية التي أحدثها في ميدان الدراسات اللسانية، إنجاز التعبير مع فقه اللغة واللسانيات التاريخية، وقد جعلت هذه القطيعة اللسانيات العلم الشامل والرائد الذي تستفيد منه مختلف المدارس المعرفية كالنقد الأدبي

¹-المرجع السابق، ص9.

²- أنابنو: تاريخ السيميائية، تر: رشيد بن مالك، مراجعة عبد القادر بوزيدة وعبد الحميد بورايو، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر ودار الأفاق، الجزائر، ص 227.

³- المرجع نفسه، ص227.

⁴- أنابنو: تاريخ السيميائية، تر: رشيد بن مالك، ص228.

والأسلوبية والتحليل النفسي وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى جهود الوظيفيين في اللسانيات والشكلانيين في الشعرية.

كما ارتبط هذا العلم من جهة أخرى بالمنطق على يد الفيلسوف الأمريكي "بيري" في أمريكا رغم ظهورهما في مرحلة زمنية متقاربة، فإن بحث كل منهما استقل وانفصل على الآخر انفصالا تاما إلى حد ما .

فالأول بشر في محاضراته بظهور علم جديد سماه السيميولوجيا، سيهتم بدراسة الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية ولن يدعو أن يكون علما قد يشكل فرعاً من علم النفس الاجتماعي وبالتالي فرعاً من علم النفس العام وسوف نسمي هذا العلم بالسيميولوجيا، ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا على كافة هذه العلامات وعلى القوانين التي تحكمها... وأن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام. وقد تزامن هذا التبشير مع مجهودات "شارلز ساندرس بيرس" الذي نحى منحاً فلسفياً منطقياً ورياضياً وأطلق على هذا العلم الذي كان يهتم به بالسيميوطيقا *sémiotique* واعتقد تبعاً لهذا أن النشاط الإنساني نشاط سيميولوجي في مختلف مظاهره وتجلياته، ويعد هذا العلم في نظره إطاراً مرجعياً يشمل كل الدراسات، يقول وهو بصدد تحديد المجال السيميولوجي العام الذي يتبناه: "أنه لم يكن باستطاعتي يوماً دراسة أي شيء سواء كان رياضياً خلاقاً أو ميتافيزيقياً أو جاذبية أو ديناميكية حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشريحاً مقارنة أو فلكا أو علماً لنفس أو علم صوت أو اقتصاد أو تاريخ..... دون أن تكون هذه الدراسة سيميولوجية إذا فسيميوطيقا حسب مذهب الطبيعة الجوهرية والتنوعات الأساسية للدلالة الممكنة¹.

ويمكننا إذا أن نتصور علماً يدرس حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية قد يشكل قسماً من علم النفس العام نسميه السيميولوجيا *sémiologie* من الكلمة الإغريقية *sémion* معنى علامة *signe* التي يمكن أن توضح لنا مما تتكون منه العلامات والقوانين التي يحكمها ربما أن هذا العلم لم يوجد بعد فإننا لا نعرف ما سيؤول له لكنه حقيقة موجود أو محدد المكانة سلفاً إن الألسنية ليست إلا قسماً من هذا العلم العام والقوانين التي يكتشفها قابلة للتطبيق على الألسنية وهكذا ستجد هذه الأخيرة نفسها مرتبطة بمجال دقيق التحديد من مجموع الوقائع البشرية².

3- مبادئ السيميولوجيا:

من المعلوم أن السيميولوجيا أو السيمياء هي لعبة الهدم والبناء، تبحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل، ولا يهتم السيميولوجيا المضمون ولا من قال النص، بل ما يهمها كيف قال النص ما قاله؟ أي شكل النص ومن هنا فالسيميولوجيا هي

¹-عبدة الصبطي وبخوش نجيب: مدخل إلى السيميولوجيا، ص 11-21 .

²-صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث، منشورات السابع أبريل، ليبيا ط 1، (د.ت)، ص 137.

دراسة الأشكال والمضامين وتبنى على خطوتين إجرائيتين وهما: التفكيك والتركيب، قصد إعادة بناء النص من جديد وتحديد ثوابته البنوية. "فالتحليل السيميائي" هدفه الأول هو البحث عن كيفية اشتغال المعنى في إطار النص دون الاهتمام بالعلاقة الرابطة بينه وبين مرجعيته الخارجية، فهو مساءلة للنص على ما يدل عليه، إنه البحث عن جذور المعنى وذلك بقلب النص رأساً على عقب قصد النفاذ إلى القواعد التي تحكم المعنى وتحديد شكله، بحثاً عن المعنى وإن لم يكن المعنى الصحيح أو الحقيقي¹.

1-3 مبدأ المحايثة immanence :

إن النص يشكل كلاً دلالياً يهدف إلى إبراز التنظيم الخاص بالوحدة المضمونة المناسبة للنص الذي يقر " بأن التحليل المحايث لا يحتاج إلى أخبار أجنبية عن النص، ويقصد بذلك الكتاب الأحداث المرورية..... حيث إن موضوع السيميائية يقتصر على وصف الأشكال الداخلية لدلالة النص"².

بمعنى أن مبدأ المحايث في تحليله يركز على النص وجوانبه الداخلية (أي مضمونه) بغض النظر عن الجوانب الخارجية ككاتب النص مثلاً والظروف التاريخية والاجتماعية المحيطة بالنص ويمكن التحقيق من مبدأ المحايثة من خلال تجربة القراءة التي تستند فيها لفهم النص بعد الانتهاء من قراءته إلى مفصلة المضمون الشامل الذي يسعى القارئ إلى بنائه. بصرف النظر عن الاعتبارات الخارجية عن النص أو القراءة والقارئ لا يبني فهمه للنص إلا بالارتكاز على مفصلة عناصر المضمون³.

بمعنى أن مبدأ المحايثة يقوم على فهم النص من طرف القارئ بغض النظر عن العوامل الخارجية والخاصة به. وفهم النص يتطلب من القارئ التوغل في مضمونه وعليه فهذا المبدأ يمكن التحقق منه خلال قراءة النص وفهم تفاصيل مضمونه، والقارئ لا يمكن أن يصل إلى الفكرة المتضمنة للنص ما إلا بتقسيم هذا النص إلى فصول حيث أن كل فصل يحتوي على فكرة تخصه ومجموع هذه الأفكار تكون بمثابة فكرة عامة عن مضمون النص بجملة، وبالتالي فالقراءة دون التفصيل قد تبعدنا عن المعنى المقصود في النص.

¹-عبرة عون: التصورات والمفاهيم الأساسية لسيمياء السرد و الخطاب، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد06، طبع المؤسسة العمومية الاقتصادية لأشغال الطباعة، جوان 2000، ص 44-45.

²- ميشال وآخرون: السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، وعزالدين المناصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص107.

³- ميشال وآخرون: السيميائية أصولها وقواعدها، ص 108.

2-3- مبدأ الاختلاف

إن مبدأ الاختلاف الذي أرسى قواعده "ديسوسير" يركز على وصف الأشكال الداخلية لدلالة النص التي بمقتضاها، يتأسس المعنى المدرك على الأثر الخلفي، فمضمون النص يتم فصل على أساس الاختلافات القائمة بين عناصر الدلالة¹.

فمبدأ الاختلاف يدرك من الأثر الخلفي له، فقصور يدرك معناه بطويل، ويدرك معنى ذكي بغبي إلى غير ذلك، فالاختلاف يساعد على تحديد عناصر الدلالة التي لا يمكن تعيينها إلا بالاستناد إلى أشكال الاختلافات ففهم المعنى في النص يتم بإدراك الاختلافات الموجودة في المضمون، وعموما تركز السيميولوجيا على ثلاثة مبادئ أساسية للتحليل وهي:

- **التحليل المحايث:** ونقصد به البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة، وإقصاء المحيط الخارجي وعليه فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه، أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر.

- **التحليل البنيوي:** يكتسب المعنى وجوده بالاختلاف وفي الاختلاف ومن ثم فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص يفترض وجود نظام من العلامات، وهنا بدوره يؤدي بنا إلى التسليم أن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها. لذا لا يجب الاهتمام إلا بالعناصر التي ستدخل في نظام الاختلاف تقييما و بناءً، وهو ما تسميه شكل المضمون أي بعبارة أخرى تحليلا بنيويا لأنه لا يهدف إلى وصف المعنى نفسه وإنما شكله ومعماراه.

- **تحليل الخطاب:** يهتم التحليل السيميائي بالخطاب، ويركز على بناء نظام الإنتاج الأقوال والنصوص وهو ما يسمى بالقدرة الخطابية وهذا ما يميزه عن اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة².

4 - مبادئ السيميولوجيا واتجاهاتها:

إن التقسيم الشائع للسيميولوجيا هو التقسيم الثلاثي الذي تبناه أغلب الباحثين وهو

سيمولوجيا التواصل و سيميولوجيا الدلالة و سيميولوجيا الثقافة.

و لكل منها رواد وضعوا للسيميولوجيا فروعاً واتجاهات ورسخوا لها وفصلوا في منطلقاتها وغاياتها وأدواتها وفي ما يلي عرض موجز لكل اتجاه:

¹- المرجع السابق، ص108.

²- جميل حمداوي : السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص28.

1-4 سيميولوجيا التواصل:

يربط روادها مثل ويسنس و بيبتومونان و اوستين و مارتيني بين مجال السيميولوجيا المختلفة سواء كانت لسانية أو غير لسانية ، وتلك الوظيفة فيما يعتقدون هي وظيفة التواصل "ذلك فهم يقيمون العلامة علي ثلاثة أسس تختلف في ركن منها عن أركان العلامة عند كل من بيرس "ديسوسور" إنها تتكون عند هؤلاء من الدال والمدلول والقصد، والذي جعل مفصلاً للفرق بين سميولوجيا التواصل وبين سيميولوجيا الدلالة¹.

ويتحقق السياق السيميائي في إطار محورين أساسيين هما:

- توفير القصد في التبليغ لدى المتكلم.

- اعتراف متلقي الرسالة بهذا القصد.

وتقوم سيميولوجيا التواصل على دعامتين هامتين هما:

- أ- محور التواصل من خلال ما يجري فيه من حيث العلامة، أنواعها، مكوناتها وعلاقة ذلك بالقصد.

ب- محور التواصل من حيث هو إما لساني، أو غير لساني.

-التواصل اللساني : نحو ما يبدو في أشكال التعبير اللغوي والأفعال الكلامية، التي يصدرها الناس في مواقف محدودة بهدف التواصل فيما بينهم.

- التواصل الغير اللساني: ويقف في مقابل التواصل اللساني واللغوي، ويضم مجموعة من الأنساق الرمزية الأخرى:مثل اللغات الطبيعية، وقد صنفه (بويسنس) إلى ثلاثة أقسام بحسب ثبات العلامة حيناً، وبحسب علاقة مؤشرها بشكلها حيناً آخر.

- العلامة النسقية أو الثابتة أو القصدية:

وهي التي لا قيمة لها إلا باعتبار أنها أنتجت لتلك القيمة المعترف بها كما تتميز بكونها ثابتة ومستمرة، ولنا في إشارات المرور أفضل قيمة.

- العلامة اللانقسقية أو المتغيرة أو غير الثابتة:

¹- نواري سعودي أبو زيد: مرجع سابق، من ص14الى ص 16.

وهي التي تتغير فيها العلاقة بين طرفيها بحسب الظرف والحاجة، كما في الملصقات الإشهارية التي توظف اللون والشكل بهدف التأثير في المستهلك. ويندرج ضمن هذا الأخير ما يلي:

- **العلامة العفوية:** وهي التي أنتجت لقصد أو لغير قصد الإشارة بالأصل ثم تم تحويلها إلى قصدية واضحة المعالم مثل لون السماء في دلالاته على حالة الهلال في الحساب.

- **محور العلامة:** والتي هي كما يرى "بريتو" مكونة من دال ومدلول بينهما مناسبة ما وتنقسم من المنظور التواصلي إلى :

- **الإشارة:** وهي واقعة ذات سلوك سيميائي، ترتبط طبيعياً بما تحيل عليه بعلاقة الملازمة ولكن في غياب ما تشير إليه أو تلازمه وإلا بطل مفعولها ومن أمثلة الإشارة، البصمات المعتمدة في تحريات الشرطة والتي تقوم بدور الإحالة على السارق وتحديد هويته.

- **المؤشر:** وهو بمفهوم "بريتو" إشارة اصطناعية لا قيمه لها إلا في حضور المتلقي له، كما نجده في العلامات البحرية وإشارات المرور.

- **الأيقون:** ويدل على ما يحيل عليه بطريقه المشابهة أو المماثلة، فالأيقون دليل محدد بموضوعه الدينامي وبمقتضى طبيعته الداخلية، وينطبق هذا على كل دليل كيفي كالإحسان الذي تستشعره عند سماعنا لقطعة موسيقية¹.

أو نظير ما نجده في المسرح من استعمال الشجرة الحقيقية وهي أيقونة طبيعية عبارة عن علامة .

- **الرمز:** وهو ما يعتبره "بيرس" علامة العلامة، أي أنه أنتج ليقوم مقام علامة أخرى مقصودة كدلالة الثعلب على المكر ودلالة السلحفاة على البطء على أنها علامات عرفية لا رابط بين طرفيها إلا ما يكرسه المجتمع من إحالة الرمز على موضوعه².

4-2- **سيمولوجيا الدلالة:** تتميز سيميولوجيا الدلالة، باستبعادها للتمييز بين الإشارة والدليل ذلك أن فعل التواصل يتمظهر عبر العلاقة الاجتماعية، فكلمة الأهالي مثلاً، تعني السكان الأصليين في الجزائر ولكن مع وجود الحدث الاستعماري نلاحظ أن الأهالي شحنت بمعاني إضافية ذات لون عنصري، والفرنسيون مثلاً لا يقبلون بسهولة أن يلقبوا بالأهالي هكذا فبالنسبة "البارت" ومدرسة سيميولوجيا الدلالة، يلقي معنى

¹ طائع الجداوي: سيميائيات التأويل، الإنتاج ومنطق الدلائل المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص 305 .

² - نوارى سعودي أبو زيد: الدليل النظري في الدلالة، ص17.

القاموس أو المعنى المستقبل، تحولات مع الممارسة الاجتماعية للدليل بناء على ما سبق يوجد في كل دليل مستويان :

- المستوى التقريري.

- المستوى الإيحائي .

ويمكن أن ننتهي إلى أن الدليل هو دائما إشارة والمعنى يكون مرافقا للتبليغ ويكون المعنى التقديري دائما مرافقا للمعنى الإيحائي وبالتالي، تعني سيميولوجيا الدلالة بدراسة المعاني والإيحائية¹.

4-3- سيميولوجيا الثقافة: أولاً علينا تعريف الثقافة وهي عبارة عن مؤسسة، محل وجودها المجتمع بكل تجلياته اجتماعيا وسياسيا ودينيا وفنيا².

وقد أفاد اتجاه سيميولوجيا الثقافة، وبشكل لافت للنظر من نوعين من الفلسفة:

الفلسفة الجدلية الماركسية وفلسفة الأشكال الرمزية لكاسيور، وقد حمل لواء هذا النهج رواد له ومناصروه، من أمثال (يوري لوتمان وأوسبنسكيوايفانوف وتودوروف) وغيرهم وآخرون إيطاليون وعلى رأسهم (أمبرتو إيكو وروسيلاندي) وقد اعتبروا أن المظاهر الثقافية أطر تواصلية وأنظمة دلالية وظيفية وفي هذا يرى أمبرتو إيكو أن الثقافة لا يمكن لها أن تنشأ إلا في ظل حضور أسباب ثلاثة تتمثل في:

- **أولاً:** إسناد الإنسان الكائن المفكر للشيء الطبيعي وظيفية ما يؤسسها، ثم أن يعين ذلك الشيء.

- **ثانياً:** باعتباره يحيل أو يرمز إلى شيء آخر وهذا الشرط هو محور العلاقة الرمزية دون أن يشترط في تلك التسمية أن تكون معلنة بوجه من الوجوه .

- **ثالثاً:** أن نتعرف نحن في ذلك الشيء على أن له تسمية ما و يشار إليه بتلك التسمية ومن هذا المنظور يمكن أن ندرك أن السيميولوجيا، كما يتصورها "إيكو" هي علم يهتم بدراسة المظاهر الثقافية على أنها أنظمة تواصلية ومن ثم تنقلب تلك المظاهر إلى موضوعات تواصل. مما يعني العودة بالضرورة إلى السيميولوجيا التي تعني بالثقافي عموماً ولربما صارت بهذا الوجه مرادفاً للإبستمولوجيا أي علم المعرفة.

هذا عن أشهر تقسيم للاتجاهات السيميولوجية، وتبقى هناك تقسيمات أخرى انفرد بها بعض المؤلفين، مثل الأستاذ (محمد السرغيتي) الذي يرى أن هناك تقسيم ثلاثي للاتجاهات

¹ - رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي ، ص 173 .

² - ميجان الروبلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 3، 2005، ص 74.

السيمولوجية، تتمثل في الاتجاه الأمريكي والاتجاه الفرنسي والاتجاه الروسي ولكنه يقسم الاتجاه الفرنسي إلى فروع على النحو التالي:

4.4- سيمولوجيا التواصل والإبلاغ: كما عند جورج مونان

- اتجاه الدلالة: الذي ينقسم بدوره إلى الأشكال التالية:

أ- اتجاه بارتوميتر: الذي يحاول تطبيق اللغة على الأنساق غير اللفظية.

ب- اتجاه مدرسة باريس: الذي يضم ميشيل إريفي و كلود كوكيه وغريماس.

ج- اتجاه السيموطيقا المادية: مع جوليا كريستيفا.

د- اتجاه الأشكال الرمزية: مع مولينو وجون جاك أو ما يسمى مدرسة إيكس.

المطلب الثاني : سيميائية العنوان

5- ماهية العنوان:

1-5- تعريف العنوان:

أ- لغة: هو السمة والعلامة والأثر يستدل به على شيء بوجه التعريض لا التصريح.

يقول ابن سيدا: "الاسم واللفظ الموضوع على الجوهر أو العرض لفصل به عن بعض كقوله مبتدئا اسم كذا وكذا"¹. أما ابن البروي: فقد أثر عنه قوله: "...وكلما استدلت بشيء تظهره على غيره فهو عنوان له"، فالاسم رسم والعنوان يوضع للدلالة على الشيء أو الفصل أو التمييز بينه وبين غيره.

في باب العين وفي مادة "ع ن ن" عن الشيء يعن ويعنُّ وعنوانا ظهر أمامك وعنَّ يعنُّ عُنَّا وعنواناً، واعتن: اعترض وعرض ومنه قول امرئ القيس:

فعنَّ لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاءٍ مُذيل

والاسم: العنن والعنان عننت الكتاب وأعنته لكذا أي عرضته وصرفته إليه، وعن الكتاب يعنه عناً وعننه: كعنونة وعنوته وعلوته، بمعنى واحد مشتق من المعنى وقال اللحياني: عَنَنْتُ الكتاب تعييناً وعنيته تعينه إذا عنوته، أبدلوا إحدى النونات ياء وسمي عُنواناً لأنه يعن الكتاب من ناحيته وأصله "عنان" فلما كثرت النونات قلبت إحداها

¹- يسام قطوس: سيميائية العنوان، دار الحوار للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2001، ص 49.

واوا، ومن قال علوان الكتاب جعل النون "لاماً"، لأنه أخف من النون ويقال للرجل الذي يعرض ولا يصرح: قد جعل كذا وكذا عنواناً لحاجته. ونلاحظ أن مادة عنن إضافة إلى ما سبق تضمنت معنى التعويض والأثر¹. أما مادة "عنا"، فتضمنت العديد من المعاني وهي كالتالي:

يعنيه عناية وعنيا: أهميته، عنيت فلان أي قصدته، وعناني إلا أمرك أي قصدني، عنيت بالقول كذا، أردت ومعنى الكلام معناته ومعنيه، مقصده أما عنوان الكتاب مشتق فيما ذكروا من المعنى وفيه لغات: عَنُونْتُ، عَنَيْتُ و عَنَنْتُ، أما معنى العنوان فيحافظ معناه من المادتين عن وعنن وهو ما يتعلق بتسمية الكتاب وبذلك فهو يحمل في طياته إشراك معاني مادة "عنن وعنا" مع معاني العنوان. وإذا كانت هذه المعاني لازالت لأن الاستعمال أثبتها أو اللسان أجراها أو تم إشتياها بين الناس بعد زوالها وهو ما تعلق بوسم النص حتى صار العنوان بالنسبة للنص علامة أو أمانة وجود².

ليكون العنوان عنواناً إلا أنه يسم الكتاب أي يميزه بعلامة خاصة عن غيره يعرف بها ويهتدي إليها من خلالها، هذه العلامة لن تكون مطلقاً إلا العنوان، أما مادة "علن" فتظهر هذه المادة كالتالي: وعلوان الكتاب يجوز أن يكون فعله فعلولت من العلانية يقال: علونت الكتاب إذا عنونته، وعلوان الكتاب عنوانه³. وإذا أمعنا النظر في البيانات المعجمية، نجدها تعزز لنا النواة الدلالية المحركة للنشاط الدلالي للعنوان أو العلوان ذلك وفق أنساق منتظمة فيها دلالات أساسية كما رسخها محمد فكري على هذا النحو:

- ✓ الظهور العلانية (عَنْ، عَلَنَ).
- ✓ الإرادة القصد المعنى (عَنْ، عَنَّا).
- ✓ الأثر السمة (عَنْ، عَنَّا).

2-5- اصطلاحاً: يعد العنوان علامة لغوية تعني النص لتسميه وتحده وتغري القارئ بقراءته، فلولا العنوانين لظلت الكثير من الكتب مكدسة في رفوف المكاتب، فكم من كتاب كان عنوانه سبباً في ذيوعه وانتشاره وكم من كتاب كان عنوانه وبالاً عليه وعلى صاحبه. والعنوان حسب رأي بعض النقاد، مقطع لغوي أقل من الجملة يمثل نصاً أو عملاً فنياً ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين (أ) في السياق (ب) خارج السياق⁴.

¹ - جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، مادة عنن من باب العين، (د،ت) المجلد 4، دار الطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص 31.

² - عبد القادر رحيم: العنوان في النص الإبداعي، أهميته وأنواعه، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جانفي، جوان 2008، ص 68.

³ - جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ص 315.

⁴ - محمد فكري الجزار: العنوان وسيميولوجيا الاتصال الأدبي، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 20.

فرغم قلة الكلمات "العنوان" إلا أنه يملك خاصية الانتشار، لأنه مكثف ومشحون دلاليا ولهذا سمي نصا موازيا.

ويعد العنوان علامة جوهرية للنص وهذا رغم اختلاف النقد في صياغته، فهو تارة جزء من كيان النص واعتباره العتبة الأولى في النص، وتارة أخرى عنصر خارجي كونه الأكثر خارجية عن النص إذا ما قورن بباقي العناصر النصية الأخرى المؤطرة للعمل " وعموما فالعنوان هو مجموعة العلاقات اللسانية التي يمكن أن ترسم على نص ما من أجل تعين هو من أجل أن تشير إلى المحتوى العام أيضا لجلب القارئ"¹.

وعلى هذا فالعنوان يحظى باهتمام بالغ في الدراسات اللسانية لكونه أكبر ما في القصيدة، إذ أن له الصدارة ويبرز بشكله وحجمه متميزا وهو الوسيلة الناجعة لصاحب النص التي يتسلح بها لجلب اهتمام القارئ وهذا ما تميل إليه الناقدة (بشرى البستاني) تقول: "العنوان رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه"².

في حين يرى عبد الحميد هيمة أن العنوان: "هو نوع من أنواع التعالي النصي الذي يحدده مسار القراءة التي يمكن لها أن تبدأ الرؤيا الأولى للكتاب"³.

فالعنوان يمثل باختصار، اقتصاد لغوي ممكن ليفرض أقصى فاعلية، مما يدعو إلى استثمار منجزات التأويل في الوصول لاختراق دلالات العنوان التي سنلقي بظلالها على النص. ونجد تعريف (ليوهوك) للعنوان الذي يولي فيه القارئ أهمية قصوى، حيث يقول: "أن العنوان مبني وشيء مصنوع لغرض التلقي والتأويل"⁴.

رغم ما أوردناه من تعاريف للعنوان إلا أنه من الصعب وضع تعريف محدد له، كما أن الدراسة العلمية تقتضي تتبع مفهوم العنوان تاريخيا بغية تقصي تطوره الذي من خلاله يمكن لنا تحديده.

3-5- وظائف العنوان:

اهتم المنشغلون في حقل النقد بسيمياء العنوان وبدورها الفعال في تقديم الخطاب وبتفاعله فيه باعتباره نصا موازيا، فالعنوان علامة جوهرية تحمل طاقة حيوية مشفرة قابلة لعدة تأويلات قادرة على إنتاج الدلالة، فلا بد للعنوان أن ينطوي على كفاءة التفاعل

¹ - حلومة التجاني: البنية السردية في قصة النبي إبراهيم عليه السلام، دراسة تحليلية سيميائية في الخطاب القرائي، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013 - 2014، ص 73.

² - بشرى البستاني: قراءات في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 34.

³ - عبد الحميد هيمة: علامات في الإبداع الجزائري، مدرسة الثقافة ولجنة الحفلات، سطيف، الجزائر، ط1، 2000، ص 64.

⁴ المرجع نفسه، ص 64.

مع عدد متنوع من النصوص والخطابات بما يكفي له قدرة على الإطلاع بوظائفه¹، غير أن (جيرار جنيت) جعل منطلق لتحليلاته ليصل في الأخير إلى وضع نمذجة لهذه الوظائف والتي نرصدها كالتالي:

- الوظيفة التعينية F. de déonnyation :

وهي الوظيفية التي تعين اسم الكتاب وتعرف به للقراء بكل دقة وبأقل ما يمكن من احتمالات اللبس، إلا أنها تبقى الوظيفة التعينية التعريفية فهي الوظيفة الوحيدة الضرورية إلا أنها لا تنفصل عن باقي الوظائف لأنها دائمة الحضور ومحيطة بالمعنى²، ففي هذه الوظيفة يسم العنوان النص ويميزه عن غيره من النصوص، وعلى مستواها تكون العودة للعينات الأخرى (اسم الكاتب).

- الوظيفة الوصفية:

وهي الوظيفة التي ينقل العنوان عن طريقها شيئاً عن النص وهي الوظيفة المسؤولة عن الانتماءات والموجهة للعنوان، وهذه الوظيفة لا منأى عنها لهذا أعدها (أمبرتو إيكو) كمفتاح تأويلي للعنوان³، وعلى مستوى الوظيفة الوصفية تتم الإشارة إلى الموضوعاتية والخيرية والمختلطة.

- الوظيفة الإيحائية F. communicative :

هي الأشد ارتباطاً بالوظيفة الوصفية، حيث لا يستطيع الكاتب التخلي عنها فهي ككل ملفوظ لها طريقتها في الوجود ولنقل أسلوبها الخاص إلا أنها ليست دائماً قصدية لهذا يمكننا الحديث لا عن وظيفة إيحائية ولكن قيمة إيحائية، لهذا دمجها (جيرار جنيت) في بادئ الأمر مع الوظيفة الوصفية، ثم فصلها عنها لارتباكها الوظيفي⁴، إذ تعتبر هذه الوظيفة قيمة في العنوان أكثر منها وظيفية.

- الوظيفة الإغرائية F. séductive :

يكون العنوان مناسباً جاذباً لقارئه المفترض وينجح لما يناسب نصه محدثاً بذلك تشويق وانتظار لدى القارئ كما يقول (جاك دريدا)، غير أن (جيرار جنيت) يرى بأن هذه الوظيفة مشكوك في نجاعتها، لهذا يطرح هذا التساؤل المحفز على الشكوية ليكون العنوان سمساراً للكتاب ولا يكون سمساراً لنفسه فلا بد من إعادة النظر في هذا التمادي

¹ - حلومة التيجاني: البنية السردية في قصة النبي إبراهيم عليه السلام، ص73.

² - عبد الحق بلعابد: عتبات لجيراد جنيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 87.

³ - المرجع نفسه، ص 87.

⁴ - المرجع نفسه، ص 87-88.

وراء لعبة الإغراء الذي سيبعدنا عن مراد العنوان أو يفسر بنصه¹، وهي وظيفة تشتغل على جذب القارئ وتشويقه، وقد تكون هذه الوظيفة شافية وافية، لكن العنوان بقيمته السلطوية استطاع أن يقيد المشتغلين على البيبلوغرافيا لأنهم يحتاجون للعنوان في تصنيفاتهم للمتون وتحقيقاتهم لها، وعليه فإن عملية وضع العناوين ليست اعتباطية ولا جزافية وإنما تؤطرها خلفية ثقافية عامة تحدد قصديتها بمساعدة تجريبية تكمن في وظائفه والتي تتكامل فيما بينها تقضي بأن يحتفظ العنوان الروائي بمجموعها كما يحتفظ بوظائف أخرى تنبثق من خلال تعدد القراءات ومن ثم يمكن اعتبارها علامات بوليفونية لكونها ذات وظائف متعددة تصب في وظيفة تحقيق الرومانسيك في نفس المتلقي².

4-5- أنواع العنوان:

تتعدد أنواع العناوين بتعدد النصوص ووظائفها وأهم العناوين هي:

- العنوان الحقيقي Le titre principal:

هو ما يحتل واجهة الكتابة ويبرزه صاحبه لمواجهة المتلقي ويسمى العنوان الحقيقي أو الأساسي أو الأصلي³، ويعتبر بحق بطاقة تعريف تمنح النص هوية، فتميزه عن غيره من النصوص ونضرب مثالا لذلك بعنواني (المقدمة) لابن خلدون و(أحاديث) لطف حسين، فكلاهما عنوان حقيقي لهذين الكتابين.

- العنوان المزيف Faux titre:

ويأتي مباشرة بعد العنوان الحقيقي وهو "اختصار وترديد له، وظيفته تأكيد وتعزيز للعنوان الحقيقي"⁴.

ويأتي غالبا "بين الغلاف والصفحة الداخلية"⁵.

وتعزى إليه مهمة استخلاف العنوان الحقيقي إن ضاعت صفحة الغلاف ولا حاجة للتمثيل له، لأنه مجرد ترديد للعنوان الحقيقي وهو موجود في كل الكتب.

¹ - المرجع السابق، ص 88.

² - شعيب خليفي: هوية العلامات في بناء العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، يناير، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 37.

³ - شادية شقرن: (سيمائية العنوان في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي)، الملتقى الوطني الأول للسيمياء والنص الأدبي، بسكرة، 7-8 نوفمبر 2000، منشورات الجامعة، ص 270.

⁴ - محمد الهادي المطوي: شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ماهر الفاريق، مجلة عالم الفكر، المجلد 28، عدد 1، 1991، ص 457.

⁵ - شادية شقرن: سيميائية العنوان في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي، ص 270.

- العنوان الفرعي:

يستشف من العنوان الحقيقي ويأتي بعده لتكملة المعنى وغالبا ما يكون عنوانا لفقرات أو مواضيع أو تعريفات موجودة داخل الكتاب وينعته بعض العلماء بالثاني أو الثانوي وهذا مقارنة بالعنوان الحقيقي ومثال ذلك (مقدمة) ابن خلدون إذ نجد أسفل العنوان الحقيقي عنوانا فرعيا مطولا هو كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر أو عناوين المباحث والفصول في متن المقدمة نحو: فصل في البلدان والأمصار وسائر العمران، فصل في أن الدول أقدم من المدن والأمصار، وأما العناوين الفرعية في كتاب أحاديث، فعدة نذكر منها: "صريح الحب والبغض: فجأة فاجعة"¹.

- الإشارة الشكلية:

وهي العنوان الذي يميز نوع النص وجنسيته عن باقي الأجناس وبإمكان أن يسمى العنوان الشكلي وهذا لتمييز هذا العمل عن غيره من الأعمال الأدبية والأشكال الأخرى من حيث قصة أو رواية شعر أو مسرحية. وهي العنوان الذي يميز نوع النص وجنسه عن باقي الأجناس، وبإمكانه أن يسمى العنوان الشكلي لتمييزه العمل عن باقي الأشكال الأخرى من حيث هو قصة أو رواية أو شعر أو مسرحية².

- العنوان التجاري:

يقوم على أساس وظيفة الأمراء لما تحمله هذه الوظيفة من أبعاد تجارية وهو عنوان يتعلق غالبا بالصحف والمجلات³، أو المواضيع المعدة للاستهلاك السريع وهذا العنوان الحقيقي لا يخلو من بعد إشهاري تجاري، لكن يبقى هذا الحكم النقدي نسبيا لأن المراوغة والخداع في العناوين عند الروائيين المحدثين صار لعبة إبداع وتميز، حيث نجد العناوين الروائية لا تعبر دائما عن مضامين نصوصها بطريق مباشرة أي لانعكاسها بكل جلاء ووضوح بل نجد بعض العناوين غامضة ومبهمة ورمزية بتجربتها الإنزياحي، مما يطرح صعوبة في إيجاد صلات دلالية بين العنوان والنص وأن يبحث المرامي بنصوصها عن المقاصد والعلاقات الرمزية والإيحائية⁴. ومن هنا فالعناوين في علاقتها بنصوصها أنواع ولكل عنوان طريقة لهذا ميز (جيرار جنيت) بين نوعين من العناوين من حيث علاقتها بمنتها حيث يعطي لكل نوع خصائص وصور ويتمثل هذان النوعان في:

¹ - عبد القادر رحيم: علم العنونة، ص 50.

² - المرجع نفسه، ص 51.

³ شادية شقرون: سيميائية العنوان في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي، ص 270.

⁴ - جميل حمداوي: السميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، ع 3، وزارة الثقافة، الكويت، 1997، ص 70.

-العناوين الموضوعاتية Timebatique:

وهي عناوين ترتبط بمضمون الرواية، حيث تسعى لاختصار المضمون وتحليلها لابد أن نعتد على طريقتين:

- ✓ التحليل الدلالي الفردي.
- ✓ التحليل التأويلي للنص.

هذه العناوين الموضوعاتية تختار أحد أربعة طرق لاختزال مضامينها:

- **تتمثل الطريقة الأولى:** في تعيين موضوع الرواية دون لف ودوران يعني أن العنوان هنا يكون مباشر.

- **تتمثل الطريقة الثانية:** في أنها تعتمد على المجاز المرسل والكناية المتعلقة بموضوع فيه الحدث أحيانا، فيكون العنوان رمزا وإيحاء.

- **تتمثل الطريقة الثالثة:** في أنها تعتمد على البناء الرمزي.

- **تتمثل الطريقة الرابعة:** في توظيفها الجمل المضادة أو السخرية.

حيث تكون العلاقة بين العنوان والنص علاقة عكسية.

كما يمكن أن يكون العنوان الذي يجمع بين الصفحات المتباعدة أو بين المتناقضات جزء أو نمط من هذه الطريقة، فحين نسمع عنوانا مثلا صلاة في جحيم لحفناوي زاعر، فيه تضاد وتناقض وتباعد بين الملفوظات المتواجدة في العنوان، "إن العناوين الموضوعاتية تجعل العنوان على اختلاف طوق تقديمه للنص رهينا بمتنه، فغياب متنه أو نصه يقتله ويفرغه من دلالاته لذلك فإن النص آلة لقراءة عنوانه، وبالتالي فهو يعيد إنتاجه في شكل ملفوظ نصي"¹.

-العناوين الخبرية (الإخبارية) Thématiques:

هذا النوع من العناوين لا يوصف بكثرة في الساحة الأدبية والفكرية وهي عناوين تسعى لتقديم النص وإظهاره لوصف مضمونه، حيث تصلح هذه العناوين كثيرا في الكتب النظرية²، ومن أمثلتها في اللغة والأدب العربي الكتاب النحوي لسبويه، هذا الذي سماه الكتاب فعنوانه يميل للمصطلح ولا علاقة له بالمضمون فالمضمون عن النحو واللغة.

¹عبد الحق بلعابد: عتبات لجيراد جينات من النص إلى المناص، ص81.

²- المرجع نفسه، ص 81-82.

ويقسم (ليوهوك) العناوين إلى قسمين هما:

✓ العنوان الأساسي أو العنوان الأصلي.

✓ العنوان الفرعي.

أما (كلود دوتشي) فيقسم العناوين إلى:

✓ عنوان أصلي.

✓ عنوان ثانوي.

✓ عنوان فرعي.

كما نجد هناك تقسيمات أخرى للعنوان، وأنواعاً له وذلك كما يلي:

- العناوين الدالة على الشخصية:

تعتبر الشخصية في الرواية مقوماً فنياً هاما لأنها المحرك الفعلي للأحداث، ومعنى عنوان يدل على شخصية إحياء يدل على مفهوم البطولة في الرواية، لأن بطل الرواية شخص في الحدود نفسها التي تكون فيها علامة على رؤية للشخص¹.

- العناوين الدالة على اسم مكان:

يعتبر المكان في الرواية مقوماً فنياً لا بديل عنه، لأنه الفضاء الجغرافي الذي تدور فيه الأحداث والرواية بتباين مضامينها وتوجهاتها، قد يكون المكان هو هدفها وموضوعها هذا ما أكدته (رولان برونوف) في سياق حديثه عن أهمية المكان في البنية السردية، حيث يصبح محددًا أساسيًا للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز².

- العناوين الدالة على زمن:

يعتبر الزمن في الرواية وقتاً تعيش فيه الشخصيات فهو وسيلة نقل مريحة للكاتب الفنية، حيث تسير الأحداث بكل أريحية، كما أن الرواية الحديثة صار الزمن فيها مرناً مطوعاً يمكن التلاعب به كيفما اتفق مع رؤيا في وصف الحدث، لهذا نجد هيمنة المفارقات الزمنية بمختلف أنواعها سواء أكانت إرجاعية أو استباقية داخلية أو خارجية وكثيرة هي الروايات التي تعبر عن زمن ما أو فترة زمنية ما. فيكون بذلك الزمن موضوعاً رئيسياً فيها فمحمد سالم الأميني الذي يعرف الرواية بقوله: "هي فن الزمن بامتياز تلتقطه، ترهنه تشكله، وتتحايل عليه لتخرجه منسجماً المضامين السردية المتينة"³. ومادام العنوان اختزالاً للمتنب بطريقة ما يحتاج المبدع إلى نمط عنواني يدل

¹ - أحمد لحميداني: بنية الخطاب السردية من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 50.

² - إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، ط1، 2002، ص 69.

³ - محمد سالم محمد الأميني الطلبة: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، دراسة نظرية تطبيقية في سيميائي طبقاً للسرد، الاستثمار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 281.

على الزمن والعناوين الدالة على زمن قد تحتاج إلى قراءة واعية لربطها بالمتن الروائي.

- العناوين الدالة على وصف أو حدث:

اختزلنا النمط لأنه جمع بين نمطين ذكرهما "ليوهوك" حين أن الأداة في العنوان قد تستعمل وصفا للوقائع والأحداث، هي وصف لحدث ما أيضا وهذه العناوين تستعمل في الرواية رمزا في الكثير من توظيفاتها، فمثلا رواية الطاهر وطار (الشمعة والدهاليز) نجد في الشمعة أداة للإغراء، لكن العنوان يحمل في طياته وصفا لحدث ما ومرحلة معينة، إن العنوان الذي يدل على شخصية يكون في الغالب اسم علم وأسماء الأعلام تحمل دلالات كثيرة ولها مرجعيات من ثقافات أخرى. كذلك نجد دراسة اسم العلم كانت إحدى المجالات المفضلة لفلاسفة اللغة حيث ربطوا دراسة الأسماء والأماكن بالهياآت الاجتماعية لمعرفة أصول الأماكن والأسماء، لان الاسم ينتمي إلى مجموعة جد واسعة وغير محدودة أين لا يمكن إحصاؤها عالميا¹.

والعنوان الدال على شخصية أو اسم علم عنوان مقنع في كثير من الأحيان، فهو عنوان يخفي أكثر مما يظهر، ولهذا استعار الروائيون أسماء الحيوانات كذلك لما تحمله من إحياءات وإشاعات دلالية مستفزة للقارئ، وهناك عناوين أخرى كالعنوان الحقيقي والمزيف والجاري ويكون في الصحف والمجلات والعنوان الموضوعي والنوعي.

5-5- أهمية العنوان:

1- أصبح العنوان في نص الحديث ضرورة ملحة ومطلب أساسي لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص لذلك ترى الشعراء يجتهدون في رسم مدوناتهم ويتقنون في اختيارها كما يتفنون في تنميتها بالخط والصورة المصاحبة وذلك لعلمهم بالأهمية التي يحظى بها العنوان، باعتباره عتبة مهمة ليس من السهل تجاهلها، إذ يستطيع القارئ من خلالها دخول عالم النص، دونما تردد مادام استعان بالعنوان على النص كما تتجلى أهمية العنوان "فيما يثيره من تساؤلات لا تلقي لها إجابة إلا مع نهاية العمل"². فهو يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر من خلال تراكم علامات الاستفهام في ذهنه والتي يكون الأول هو العنوان فيضطر إلى دخول عالم النص بحثا عن إجابات لتلك التساؤلات بغية إسقاطها على العنوان.

¹ - سيميائية العنونة في ديوان أوجاع صفصافة في مواسم الإغصار، يوسف وغليسي، رسالة ماجستير، جامعة سطيف، الجزائر، 2012، ص23.

² - رشيد بجياوي: الشعر العربي الحديث دراسته في المنجز النصي، إفريقيا الشرق المغرب، لبنان، ط1، 1998، ص107.

إن التطور الحاصل في تاريخ العنونة جعله بعد سنوات عجاف، يستفيق من غفوته ويتمرد على إهماله فترات طويلة وينهض ثانية من رماده الذي حجبته عن فاعليته وأقصاه إلى ليل من النسيان ليكون ذا بال ويزاحم النص في أهميته، لا ليكون جزءاً منه بل ليكون نصاً موازياً له ولعل عناية كل من (جيرار جنيت) و (ليوهوك) و (كلود دوتشي) و (جون مونلنو) و (روبرتشولز) و (جون كوهين) بالعنوان أسس حقيقة لما يسمى اليوم بعلم العنونة، حتى أخذ النقاد يستنتقون البعد السيميائي في تحليل العلاقة الجدلية بين العنوان في قمة الهرم وبين البنيات المشكلة لمتن الهرم استناداً لما خلفته دراسات (فرانسوا فروري) و (أندري فونتانا) و (شارل جريفال).

المطلب الثالث : سيميائية الشخصية

3- سيميائية الشخصية:

3-1- مفهوم الشخصية: إن مصطلح الشخصية قد لاقى تضارباً في استخداماته، إذ إن بعض النقاد المعاصرين وقعوا في خلط بين "الشخصية" و "الشخص" لذا تراهم يقولون "الأشخاص" طورا و"الشخصيات" طورا آخر، وكأن أحدهما مرادف للآخر¹، غير أن الشخصية كائن حركي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكون الشخص نفسه، حينئذ تجمع الشخصية جمعا قياسيا على شخصيات، لا على شخوص الذي هو جمع شخص، ويختلف الشخص عن الشخصية في كون الأول الإنسان في الواقع أو التاريخ خلافا للصورة التي تمثلها الشخصية في الأعمال السردية، وإن كانت هناك إشارات وقواسم تجمع بينهما، ويفرق محمد عزام بين "الشخصية الروائية و "الروائي" انطلاقاً من كون الأولى عامة لها قوانين وأنظمة تقتتها والثانية خاصة تعني شخصا معينا في رواية معينة، له سماته الخاصة وصفاته النفسية والجسمية المحددة إلا أن كليهما تتلامسان تلامس الخاص ضمن العام.

ويمثل مفهوم الشخصية عنصراً محورياً في كل سرد، بحيث لا يمكن تصور شبكة سردية بدونه ومن ثم كان التشخيص محور التجربة الروائية، ومع ذلك يواجه البحث في موضوع الشخصية صعوبات معرفية متعددة، حيث تختلف المقاربات والنظريات حول مفهوم الشخصية اختلافاً بلغ بها حد التضارب والتناقض وكأننا لا نتحدث عن العنصر نفسه، ففي النظريات السيكولوجية تتخذ الشخصية جوهرًا سيكولوجياً وتصير فرداً أو شخصاً أي ببساطة تصير "كائناً إنسانياً" وفي المنظور الاجتماعي تتجول الشخصية إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي، وتعكس وعياً

¹ - عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردى، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدن"، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، بن عكنون، الجزائر، ص 125.

إيديولوجيا بخلاف ذلك نجد أن البنيويين لا ينظرون إلى الشخصية بالمنظارين السابقين، وإنما باعتبارها علامة يتشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد، وليس خارجها كما يقولون، فالتحليل البنيوي بتجريده للشخصية من جوهرها السيكولوجي ومرجعها الاجتماعي، لا يتعامل مع الشخصية بوصفها (كائنا) أي شخصا وإنما بوصفها فاعلا ينجز دورا في الحكاية، والعبرة من وجهة نظر بنيوية كامنة في ما تقدمه الشخصية من عمل، فهي لا تنمو إلا من وحدات المعنى، وإنما تصنع من الجمل التي تنطقها هي أو ينطقها عنها الآخرون¹. ويعرف الباحث المغربي (حميد لحميداني) الشخصية بأنها "الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية والتي يمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها أو ما يستنتجه القارئ من أخبار، عن طريق سلوك الشخصيات². وبذلك تكون الشخصية الحكائية الواحدة متعددة الوجوه، وذلك بحسب تعدد القراء، واختلاف تحليلاتهم، وبالتالي فإن النص الروائي يفتح على مجموعة من التأويلات تبعا لاختلاف وتعدد القراءات في حين يذهب بعض الباحثين إلى اعتبار الشخصية نتاج عمل أدبي تألفي، بمعنى أن هويتها موزعة في النص عبر الأصناف والخصائص التي تستند إلى اسم (علم) يتكرر ظهوره في الحكاية.

إن الشخصية الروائية تشكل بؤرة مركزية لا يمكن إغفالها أو تجاوز مركزيتها، والرواية كما هو معلوم أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالشخصية لا يقاربها في ذلك سوى المسرحية التي سبقتها في الظهور، ولكن المرونة الكبيرة للرواية بوصفها جنسا أدبيا، والحرية التي يمتلكها الروائي في تشكيل عوامله، ورسم شخصياته جعلتا الشخصية الأدبية أكثر اقترانا بالرواية منها بالمسرحية، وهذا ما يتيح للروائي بذل ما يريد من جهود، واستثمار ما يشاء من وسائل معرفية وتقنية في سبيل تمكينه من تحقيق بعض التفوق في رسم شخصياته³.

ونظرا لتعدد المفاهيم ووجهات النظر فيما يخص تحديد مفهوم للشخصية، فإنه يمكن لنا أن نحصيها عموما في ثلاثة اتجاهات أو مواقف وهي:

1- فريق يرى أن الشخصية كائن بشري من لحم ودم يعيش في مكان وزمان معينين.

2- فريق يرى أن الشخصية، هيكل أجوف ووعاء مفرغ، يكتسب مدلوله من البناء القصصي الذي يكسبها هويتها.

¹ حميد لحميداني: بنية النص السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991، ط 1، ص 50.

² المرجع نفسه، ص 51.

³ صلاح صالح: السرد وسرد الآخر (الأنا الآخر عبر اللغة السردية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت، ط1، 2003، ص 101-102.

3- فريق من جهة أخرى يرى أن الشخصية متكونة من عناصر البنية وهي علامة من العلامات الواردة في النص، إلا أنها ليست رمزا لهيكل بشري له ذات متميزة، أي أن تتحول إلى دليل له وجهان دال ومدلول، إن هذه التباينات في جوهرها تشير بمعنى من المعاني إلى الدور الخطير الذي تلعبه الشخصية بوصفها عنصرا في العملية السردية، كونها تشكل فكر الروائي وتؤثر تأثيرا عظيما في سير الأحداث وتوضيحها، فمن خلال تحركاتها وعلاقتها يستطيع الكاتب أن يبني عمله الفني ويطوره ليصل إلى فكرة معينة يسعى إلى تبيانها، إذا فإن دراسة الشخصية الروائية من أهم الوسائط الرامية إلى إضاعة عوالم الرواية ويكون ذلك من خلال مستويين:

الأول - فني جمالي: إذ يدخل رسم الشخصية في صلب ما يعطي الرواية قيمتها الفكرية والجمالية، وبلغ من عناية الروائيين برسم الشخصية أنها اعتمدت أساسا لتصنيف بعض الأنماط الروائية، فعرف الاصطلاح الأدبي "رواية الشخصيات" التي استخدم فيها الروائيون براعتهم الحرفية وخبراتهم المعرفية لعرض شخصيات تمتلك قابلية الرسوخ في ثقافة الإنسان، فقد كان الروائيون يشعرون دائما أن في الشخصية شيئا شيقا وممتعا.

الثاني - فكري معرفي: باعتبار الشخصية نافذة مترعة للإطالة على البنى المتجاوزة في القطاع الإنساني، الاجتماعي، التاريخي مما تشملها الإطلالة¹.

2-3- تقديم الشخصيات:

إن القضية التي لم يحسم فيها بعد هي الطريقة التي يقدم بها الروائي شخصياته في الرواية، ونحن إذا نظرنا إلى النوع الروائي عبر تاريخه وفي شموليته، فإننا سنرى أنه من الصعب تحديد التعبير الأدبي للشخصية، حيث يلجأ جميع الكتاب إلى تقنيات مختلفة لتقديم الشخصيات إلى القارئ، فهناك من جهة الروائيين الذين يرسمون شخصياتهم بأدق تفاصيلها وهناك من يحجب عن الشخصية كل وصف مظهري².

وأمام تعدد المشاكل التي يطرحها تقديم الشخصية، من حيث التنوع والاختلاف، يقترح "فيليب هامون" مقياسين أساسيين، يفيدان الدارس للنص السرد في القيام بهذه المهمة:

المقياس الكمي: وينظر إلى كمية المعلومات المتواترة المعطاة صراحة حول الشخصية.

المقياس النوعي: ينظر إلى مصدر المعلومات حول الشخصية هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة، أم على طريقة مباشرة، بواسطة التعليقات التي تسوقها الشخصيات

¹ - ينظر صلاح صالح: السرد وسرد الآخر، ص 102-103.

² - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 223.

الأخرى أو المؤلف، أم أن الأمر يتعلق بمعلومات ضمنية ثم الحصول عليها من خلال فعل الشخصية ونشاطها¹.

تكمّن أهمية هذين المقياسين في كونهما يجنبان الدخول في متاهات الفصل والتمييز على أساس غير دقيق، مما يترتب عنه الالتباس والغموض الذي يلحق دراسة الشخصيات، كما في التحليلات التقليدية.

وهناك طريقتان من طرق تقديم الشخصيات الروائية وهي:

-التقديم الغيري: ومن الطرق التي غالبا ما يلجأ لها الروائيون حديثا في تقديم شخصياتهم حديث الشخصية عن شخصية أخرى، حيث يكلف الراوي شخصية لتقوم بتقديم المعلومات وهي الطريقة الأوفر استخداما في "كتاب رواية الأصيل"، وقد يلجأ السارد إلى طريقة أوفر تعبيراً عن ذاتية الشخصية في اتجاه آخر مسلك الوصف الخارجي في تقديم المعلومات، حيث نجد تركيزاً على الملامح والأعضاء كالعينين والبشرة... أو ما تعلق بالصفات المعنوية كالتواضع والوقار... ويتوفر هذا النوع من التقديمات خصوصا في النصوص التاريخية وكتب السير والتراجم حيث نجد المؤلف يورد وصفا دقيقا للشخصية المتحدث عنها أو المترجم لها.

-التقديم الذاتي: إن الشخصية وفق هذا المبنى تقدم ذاتها بذاتها، مستغنية عن كل الوسائط التي يمكن أن يغرى إليها وظيفة نقل المعلومات المتعلقة بها إلى المتلقي حيث تعرض نفسها، وتعبر عن ذاتيتها، وتحدد أفكارها وطموحها وبذلك تبلور موقعها الخاص في منظومة الحكى².

إن هذا التقديم من شأنه أن يساعد على معرفة الشخصية والاقتراب منها وكشف جوانب مهمة من كينونتها ودواخلها، وكل ما هو ملتصق بنفسيتها من مشاعر وأحاسيس وهموم، كما أن هذا النوع من التقديم هو الأقرب إلى فهم القارئ وشعوره، لأنه يستقبل المعلومات من صاحب الشأن، لا بواسطة الآخرين.

كما أن التقديم الذاتي في الحوار الثنائي ذو أثر كبير في رسم الشخصية خصوصا عندما تسرد بضمير المتكلم ومن المزايا التي نسجلها لصالح التقديم الذاتي عبر ضمير المتكلم كذلك التغلغل في بواطن الشخصيات ومعرفة الكثير عن دواخلها ونفسياتها هذا الضمير الذي يزداد فاعلية في التقديم كلما تعلق الأمر بالشخصيات التاريخية.

¹ - محمد بوعزة: تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010، ص 43.

² - زهيرة بنيبي: بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان (مقاربة بنوية)، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة (الجزائر)، 2007، ص 87.

لقد كان لأشكال التقديم هذه، بالإجمال دور كبير في تعرفنا نحن- على أبرز المكونات والقيم، والعلاقات فيما يخص بنية الشخصيات ككل التي تم تشكيلها من طرف الروائي انطلاقاً من أرضية تاريخية ليتم تجاوزها فيما بعد عبر فتح المجال لأفق المتخيل الروائي الذي يعمل على المحافظة على أشكالها التاريخية، ويجري تعديلات وإضافات على مستوى الأفكار والرؤى واللغة.

3-3- أصناف الشخصيات: تتعدد معايير التمييز بين الشخصيات الرئيسية والثانوية، بحكم اختلاف الأشكال الروائية وتغير معايير تقييم الفرد سواء عبر التاريخ، أو اختلافهما من ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، يحدد "روجر هينكل" في كتابه "قراءة الرواية" خصائص الشخصيات الرئيسية في ثلاثة عناصر هي:

- مدى تعقيد الشخصية.
 - مدى الاهتمام الذي تستأثر به بعض الشخصيات.
 - مدى العمق الشخصي الذي يبدو أن إحدى الشخصيات تجسده¹.
- ويقصد بمعيار تعقيد الشخصيات نمط الشخصية المعقدة التي ترجع إلى أفعالها وتصرفاتها إلى مجموعة متداخلة ومركبة من الدوافع والانفعالات المتناقضة مما يجعلها عرضة لتغيرات حاسمة، ومعنى ذلك أن الشخصيات الرئيسية تمثل نماذج إنسانية معقدة وليست نماذج بسيطة، وهذا التعقيد هو الذي يمنحها القدرة على اجتذاب القارئ هذا المعيار يخص الشخصية وطرق تقديمها على المستوى السردي، فالشخصيات الرئيسية هي التي تستأثر ذلك باهتمام السارد حين يخصها دون غيرها من الشخصيات الأخرى بقدر من التميز، حين يمنحها حضوراً مكثفاً وتحظى بمكانة متفوقة، هذا الاهتمام يجعلها في مركز اهتمام الشخصيات الأخرى وليس السارد فقط، ويقصد بمعيار العمق الشخصي، غموض الشخصية، بما يجعلها مثار اهتمام حياتهم لغزا غامضا يستثيرون شغفنا².

والشخصيات المكثفة النامية في نظر محمد غنيمي هلال تتطور وتنمو بصراعها مع الأحداث أو المجتمع، فتكشف للقارئ كلما تقدمت في القصة، وتفاجه بما تعنى به من جوانب عواطفها الإنسانية المعقدة، ويقدمها القص على نحو مقنع فنياً³، إذ يمكن تصنيف الشخصية حسب الدور الذي تقوم به إلى:

- الشخصية الرئيسية:

هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائماً، ولكنها هي الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو

¹ - روجر هينكل: قراءة الرواية، تر، صلاح رزق، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995، ص 233.

² - المرجع نفسه، ص 242.

³ - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، (د،ط)، 1987، ص 566.

خصم لهذه الشخصية¹، أي أنها تحتل مرتبة الصدارة في العمل الروائي ولها دور كبير في عملية سير تقنية السرد.

وتعتبر أيضا الشخصيات الرئيسية نقطة مهمة يتوقف عليها فهم التجربة المطروحة في الرواية، فعليها نعتد حين نحاول فهم مضمون العمل الروائي.²

-الشخصية الثانوية:

هي التي لا يوجه لها الكاتب اهتماما مماثلا لاهتمامه بالبطل، ذلك أنها تؤدي عملا ثم تتصرف من ساحة القصة أو تبقى فيها ولكنها لا تتفاعل مع الحوادث تفاعلا يجعلها تطفو على سطح القصة إلا أنها ضرورية للقصة لأنها تطرح الوجه المقابل للبطل أو توضح بعض صفاته أو تقدم له شيئا من المساعدة، أما عن دور الشخصيات الثانوية في تصعيد الحدث وضع الحكمة فهو لا يقل أهمية عن دور الشخصية الرئيسية، إنها شخصيات متناثرة في كل رواية تساعد الشخصية الرئيسية في أداء مهمتها وإبراز الحدث³، إذا فكل ما ذكرناه سابقا يقودنا إلى قول أن الشخصية الرئيسية والشخصية الثانوية عنصران مهمان في حركة العمل الروائي أما من ناحية خاصية الثبات والتغير فتتقسم فيها الشخصيات إلى نوعين هما:

- الشخصيات الدينامية:

هي الشخصية التي تعطي الحدث انطلاقته الدينامية التي يطلق عليها سوريو (SOURIAU) القوة التيمائية *thématique* وهي الشخصية التي تدور حولها الأحداث من البداية إلى النهاية⁴.

وهي السبيل الوحيد الذي يجعل الروائي يعبر عن كل ما يشغله ويجول في خاطره من أفكار ومواقف مرت في حياته، ومن مميزات الشخصية النامية التركيز على خاصية التأثير والتأثير وخاصية التغير والتحول من موقف إلى آخر وتعتبر الشخصية المدورة أو الشخصية المتغيرة تتغير حسب تطور الأحداث وتناميها ولا تبقى على صورة ثابتة⁵.

- **الشخصيات الثابتة:** من العنوان يتضح لنا أن الشخصية الثابتة تتميز بالثبات والجمود والسكون وهي التي تبني حول فكرة واحدة ولا تتغير طوال الرواية، فلا تتطور وتفقد الترتيب ولا تدهش القارئ أبدا بما تقوله أو تفعله ويمكن الإشارة إليها بنمط ثابت⁶.
كما أن للشخصية الروائية أبعادا تميزها عن غيرها من الشخصيات وهي:

¹ - صبيحة عودة زعرب، غسان كنفائي: جماليات السرد في الخطاب الروائي، مجدلاوي، عمان، ط1، 2005، ص 131-132.

² - مجد بوعدة: تحليل النص السرد، ص 57.

³ - صبيحة عودة زعرب، غسان كنفائي: جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 132.

⁴ - إبراهيم عباس: الرواية المغاربية، تشكل النص السرد في ضوء البعد الإيديولوجي، ص 350.

⁵ - مجد بوعدة: تحليل النص السرد، ص 59.

⁶ - المرجع نفسه، ص 59.

- ✓ بعد جسمي (فيزيولوجي أي المواصفات الخارجية للشخصية).
- ✓ بعد نفسي (المواصفات السيكولوجية للشخصية الداخلية).
- ✓ بعد اجتماعي (معلومات حول وضع الشخصية الاجتماعي)

الفصل الثاني :

سيمائية الغلاف و العنوان والشخصيات في رواية "أولاد حارتنا"

لنجيب محفوظ

المطلب الأول: سيمائية الغلاف

المطلب الثاني: سيمائية العنوان

المطلب الثالث: دراسة سيمائية الشخصيات

1- دراسة سيميائية الغلاف:

يعتبر الغلاف الخارجي لأي عمل مكتوب أول واجهة مفتوحة أمام القارئ تهيؤه لتلقي العمل الأدبي، فهو واجهة إشهارية وتقنية وعملية تصميمية لا بد أن تخضع لنوع من الدقة، ومن خلال انفعال المتلقي بهذه العتبة تتشكل بذور علاقة بينه وبين النص وتتمثل هذه العلاقة في الحالة النفسية، المستوى الثقافي، نوعية التعليم، النشأة، الدين.... الخ¹.

ولأهميته البالغة ازداد اهتمام الناشرين والكتاب به منذ العقد الأخير من القرن الماضي، فهو يعتبر المؤشر الدال على الأبعاد الإيحائية للنص.

وتتكون صفحة الغلاف من وحدتين؛ وحدة أساسية تضم اسم الكاتب والعنوان وبجواره الصورة بألوانها ووضعية اسم الكاتب وأيقونة دار النشر ووحدة خلفية تتمثل في كلمة الناشر، يحمل الغلاف عادة رسومات واقعية قد تكون شخص، منزل، مسجد، حيوان.... الخ.

وأول ما نلاحظه في صورة غلاف رواية "أولاد حارتنا" ونحن نقوم بقراءة بصرية لواجهة الغلاف هو هيمنة واستحواذ اللون الرمادي مقارنة بالألوان الأخرى، وأعلى يسار الغلاف وبخط أبيض وعريض اسم الكاتب، نجيب محفوظ وتحتة وبفس الشكل لكن بخط غامق وبارز ومائل يحتل نصف مساحة الغلاف عنوان الرواية "أولاد حارتنا" بلون اسود، أما الجزء السفلي للغلاف، فنلاحظ أنه يحتوي على وجه بارز لامرأة بعينين حادتين خلفها رجل عجوز وخلفهما بعيدا رجل يجرب عربة وآخرون مارون على الطريق .

في قراءتنا التأويلية لمحتوى الغلاف يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن كل عنصر من العناصر المشكلة لهذا الفضاء الخارجي بما في ذلك الألوان تحمل دلالة معينة ولها مرجعيتها داخل هذا العمل الأدبي، فكتابة اسم المؤلف أعلى الغلاف إنما هدفه الإشهار بالمؤلف أولا ثم العمل الروائي كما أن تقديم اسم المؤلف على العنوان إنما هو لرفع لواء الملكية الخاصة بالمؤلف. أما إذا حاولنا الربط بين الأشكال والرسومات التي تحمل الجزء السفلي من الغلاف المتمثلة في البيانات والأشخاص وبين العنوان، فنلاحظ أن هنالك مقاربة بينهما لأنه وظف صورة امرأة وشيخ عجوز ورجل وغيرهم من الأشخاص وقابلها بمفردة "أولاد" في العنوان، كما وظف رسومات لبنايات مختلفة وزقاق دلالة على الحارة كما تؤدي الألوان المشكلة دورا

¹ - مراد عبد الرحمان مبروك : جيو بوليتكا، النص الأدبي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002، ص124.

كبيرا إذ يغلب على خلفية الصورة اللون الرمادي القريب من السواد في بعض الأماكن وهو لون يقسم عالم الإنسان إلى قسمين : قسم ايجابي وقسم سلبي¹.

كأنهما ثنائية الخير والشر اللذان يتجاذبان داخل النفس ومن جهة أخرى يحمل هذا اللون دلالة قد تربط بمشاعر نفسية عميقة من الوحدة والحزن و الميل إلى الهدف والشفافية والنزاهة التي تجعل المخادعين ينفرون عنه إضافة إلى رمزيته حول السيطرة والالتزام بالقواعد.

ويتخلل اللون الرمادي المسيطر بعضا من اللون الأصفر والبرتقالي، فدلالة اللون الأصفر حسب ما هو متعارف عليه دلالة على المرض ونهاية العمر ومن جهة أخرى قد تدل على أشعة الشمس التي تشرق في يوم قاتم فهي تمثل الأمل الذي يشرق في الحارة بين الفترة التي تنتهي بها دور شخصية محبة للعدل و قيام شخصية أخرى مماثلة لها بعد طول العناء و الظلم أما دلالة اللون البرتقالي المائل للأحمر فيشير إلى العدوانية و الهيمنة التي تسلط بها الفتوات على أهل الحارة.

وما يلفت النظر أكثر في صورة الغلاف ملامح الفتاة التي تدفع بالمتلقي للاستعداد لدراسة الرواية بآليات قراءة رومنسية أو من بوابة صراع الحضارات والديانات لكن مؤشر شكل الصومعة يوحي بأنها رواية صراع حضاري ديني بحت، ومن ناحية أخرى قد تدل بروز ملامح المرأة خاصة العينين على فتنة الحياة وتمسك البعض بها بشتى الطرق وما يؤكد ذلك صورة الرجل الذي يجر العربة بجهد وتعب بغية كسب القوت و الانتصار في الحياة .

أما اللون الأسود الذي كتب به العنوان، فيحمل دلالة اليأس والحزن والتشاؤم ذلك ما كان يعانيه أولاد الحارة من منظور نجيب محفوظ.



¹- أحمد مختار عمر: اللغة و اللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص189.

2- دراسة سيميائية العنوان:

العنوان هو ظل عتبة للنص والبداية الحقيقية لمراحل التأويل فيه. ويعد "نجيب محفوظ" من العوالم الروائية السحرية التي خلدت نفسها بنفسها من خلال السبق الفني الذي انتهجه في إبداعه الروائي والعنونة عنده جزء لا يتجزأ من العملية الإبداعية الداخلية للنص فهو يختار عناوين رواياته بعناية شديدة .

ويعتبر العنوان علامة وإشارة مهمة للعالم الروائي حتى صارت كل أعماله لها توهج نصي وحضور خاص في ساحة التلقي والنقد، ففي رواية "أولاد حارتنا" يكمن العنوان في إطار تلك النزعة الفلسفية التي أراد نجيب محفوظ أن يبدع بها جانبا موازيا لمدارك الحياة وذلك من خلال وضع قضية البشرية وعلاقتها بكيونة الحياة في إطارها الرمز مستخدما في ذلك شخصيات واقعية موحية بالدلالة والتأويل، ومع أن أكثر الباحثين انصرف لدراسة القسم الأخير الذي انفرد به عرفة فإن أولاد حارتنا كل منسجم مع البعض الآخر ويقوم بتركيبها في بناء متماسك لا يمكن النظر إلى جانب دون الآخر. فحينئذ تختلف الرواية التي يمكن تكوينها عن هذا العمل المتميز والذي هو حلقة من حلقات استعراض تاريخ البشر لطرح رؤية خاصة يتبناها المؤلف وتنال اهتمامه ومن ثم فإنها تمتد في جذورها اتجاه الأعمال السابقة ونجد صداها في الأعمال التالية¹.

ومن هنا جاء الاحتمال بهذا العنوان اللافت، المكون من مفردتين لتؤصل واقعية المشهد من الناحية الموضوعية لاسيما الترميز والاستفهام يقبعان داخل النص فالعنوان هو مجموعة العلاقات اللسانية التي ترد داخل النص لتعيّنه وتعلن عن فحواه وترغب القراء فيه².

يرسم الكاتب في رواية "أولاد حارتنا" صورة بانسة للمجتمع المصري أو العربي بصفة عامة، يمتد من تولي أدهم عاصم الوقف إلى موت "عرفة" ويرمز به الكاتب إلى التاريخ البشري الذي يمتد من آدم إلى يومنا هذا ويركز في ذلك على بيت الجبلوي الكبير على الحارة ويرمز بهما الكاتب إلى راحة الجنة وشقاء الدنيا، ولقد استخدم نجيب محفوظ مفردة " أولاد" بدلا من "أبناء" لأن روايته عبارة عن رسالة شاملة لكلا الجنسين ذكورا وإناثا، ونجد مثلها الرسالة التي تحملها الآية القرآنية "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين " النساء "11".

فهو لم يخص روايته بالجانب الذكوري فحسب، ودليل ذلك ذكره لبعض الشخصيات الأنثوية (هند - أميمة - قمر) ولقد اتبعت روايته منحى دينيا قام فيها بتضمين أسماء الأنبياء وبعض صفاتهم وإسقاطها على شخصيات روايته من وجهة نظر خاصة

¹ - سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2004، ص186.
² - محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، دراسات أدبية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1998، ص137.

به ومن ناحية مختلفة تماما كما كانوا عليه، فقد استعمل هذه الطريقة لتوعية المجتمع البائس وتذكيره بسبب وجوده شقاوة في الحياة الدنيا باعتبار أن المجتمع بحاجة ماسة إلى دروس تهذب فكره وتعد له لضمان سيرورته في نهج سليم رغم بعض الأخطاء التي وظفها فيما يخص الجانب الديني واقتباسه لبعض القصص الدينية بصورة مختلفة عما وردت في القرآن. إضافة إلى أنه قد صور الفضاء المنتشر في الأرض نتيجة لدخول الأشرار في حياة البشر وتصوير المجتمع المنحط الذي تنعدم فيه الفضيلة والخلق الحسن ويكاد أن يختفي منه الخير وينعدم من خلال ذلك وهو تصوير شنيع وكأنه أراد أن القول بأن مجتمعاتنا متخلفة تهوى الذل والعبودية ولا تتوي الخلاص من هذا الذل.

ونلاحظ أن نجيب محفوظ اعتمد في تركيب عنوانه على جملة اسمية، والجملة الاسمية تدل على الثبوت، فالاسم يقتضي الثبوت والاسم يقتضي ثبوت الصفة وحصولها¹، وهذا دليل على استغراق الأديب في الوصف كوصفه لبيت الجبلوي الكبير والفخم بكل دقة وكذلك وصف شخصية "الجبلوي" وأولاده وغيرهم من شخصيات ذكرها في روايته، فروايته هذه تتحدث عن تاريخ البشر والصراع بين الخير والشر منذ بدء الخلق إلى يومنا هذا فكلمة "أولاد" إنما هي إسقاط على كافة البشر وكلمة "حارتنا" إنما هي دلالة على الأرض التي يعيش عليها الإنسان والجنة دل عليها بالحديقة التي وصفها بدقة داخل البيت الكبير الذي طرد منها أدهم مغضوبا عليه محروما من ظلالها .

وأولاد حارتنا هي ذلك العنوان الشامل الذي استوفى قصصا جمعت بين أكبر ثلاث ديانات رئيسية عرفها التاريخ البشري وعرضها في صورة رمزية واقعية.

فقصة جبل المقصود منها (موسى عليه السلام) وقصة رفاة المقصود منها (عيسى عليه السلام) قصة قاسم المقصود منها (محمد ﷺ) ثم تختتم الرواية بقصة عرفة الذي يقضي على خرافات الناس المتمثلة في حديثهم عن الجبلوي وأدهم وجبل ورفاعة وقاسم ويتمكن في نهاية الرواية من قتل الجبلوي أو التسبب في موته، فهو من خلال رؤيته وجب التخلص من سلطة الدين وتحرير الناس من تبعيتهم للسلطة العليا هؤلاء وغيرهم من شخصيات اختزل ذكرهم في كلمة "أولاد" التي لا بد أن تكون ملازمة لكلمة حارتنا أو بعبارة أخرى الأرض التي تعتبر سكنا للبشر، حيث تدور الأحداث في أحد أحياء القاهرة (صحراء مقطم) والحيل البيئية والمكانية مصرية في الرواية أضفى عليها الطابع الشعبي كونه من المقاهي وغير ذلك من رموز حاول من خلالها إضفاء طابع الواقعية على روايته لسحب القارئ على التفكير بأن الرواية تتحدث عن الأنبياء أو هي مقتطف من قصص دينية لكنه عجز في ذلك لأن التقارب بينهم وبين شخصيات روايته

¹ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار المدني، السعودية، ط1، 1991، ص17.

واضح بشدة ويستنكر الكاتب في بعض أحاديثه أن تفسر الرواية تفسيراً دينياً وأيده في ذلك نقاد وأدباء ممن يؤمنون بفصل التفسير الديني من الأدبي¹.

لأن الكاتب قد استعان في روايته بالذات العليا والأنبياء وهذا ما خلق إشكال حول نشرها، كل هذه العبر والقصص والأحداث استطاع الكاتب أن يختزلها بدقة وعناية تحت عنوان بسيط "أولاد حارتنا" لهذا حظيت عتبة العنوان بما لم تحظ به العتبات الأخرى ذلك لأن هذه الفقرة أولى المداخل التي يأخذ عليها المتلقي سيكولوجياً ومعرفة وما قد يحيل إليه مما هو خارج النص أو داخله، فالعنوان وإن كان يقدم نفسه بصفته مجرد عتبة للنص، فإنه بالمقابل لا يمكن الولوج إلى عالم النص إلا بعد اجتياز هذه العتبة، إنها تمفصل حاسماً في التعامل مع النص.....

فالعنوان عندما يستقر في النص يصير شيئاً يقضي إلى موت النص وعدم قراءته².

3- دراسة سيميائية الشخصيات :

3 - 1- شخصية الجبلوي:

تعد شخصية الجبلوي من أهم الشخصيات الرئيسية التي دارت حولها الرواية يمتد حضورها من بداية الرواية إلى نهايتها تحتل الصدارة في كل قصة من قصص الرواية، تمثل السلطة العليا والمسيطرة، وهي أول رمز استخدمه للدلالة على تركيبية كلمة "الجبلوي" التي قربت موسيقى حروفها في كلمة "الله" وقد شبه صفات الشخصية بصفات الله عز وجل من قوة وسلطة ومكانة عالية والمتحكم في كل ما يخص شؤون الحارة.

يقطن "الجبلوي" في البيت الكبير الذي يرمز، من منظور الكاتب، إلى السماء في جوفه حديقة غنية كأنها الجنة بنعمها، ونسب الكاتب لهذه الشخصية مجموعة من الأولاد من بينهم أدهم وإدريس تمثيلاً لشخصية آدم وإبليس و القصة الكونية الأزلية، في بداية الرواية صور شخصية إدريس بالشخصية المتواضعة ذات المكانة المحترمة وسرعان ما تتحول إلى شخصية متمردة مباشرة بعد ولاية أدهم لإدارة الوقف. وأمر الوالد باحترامه وتوقيره، ما أفقد إدريس أعصابه وجعله يرفض رفضاً قاطعاً أمر والده بتكبر وسخرية على أصل أدهم باعتباره ابن جارية وبشرة سمراء متكبراً بأصله ومظهره ما جعله يتمادى في تحريض إخوته ليوقفه الوالد بعد كلامه اللاذع في قوله

¹ -مصطفى عبد الباقي: نجيب محفوظ الثورة والنصوص، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مصر، ط2، 2002، ص269.

² -حافظ المغربي: أشكال التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر، (دراسات في تأويل النصوص)، دار الانتشار العربي، النادي الأدبي السعودي، لبنان، ط01، 2010، ص 246.

"ما أهون الأبوة عليك خلفت فتوة جبارا فلم تعرف إلا أن تكون جبارا ونحن أبناءك تعاملنا، كما تعامل ضحاياك الجديدين¹ .

تلك الكلمات التي بسببها طرد من البيت الكبير مغضوبا عليه من والده، ذلك ما نجده في قصة آدم وإبليس لما أمره الله بأن يسجد لآدم، فعصى أمر ربه. ونجد تمثيلا آخر لما توعد إدريس والده بأن ينتقم من أخيه ويلقي به خارجا مغضوبا عليه كما أخرج هو مثلما قام به إبليس عندما توعد أبناء آدم بإخراجهم من الجنة يقول الله تعالى: " وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ " ²

وترمز لون بشرة أدهم إلى التراب الذي خلق منه آدم كما أن توعد إدريس لأدهم هو نفسه توعد إبليس لآدم وذريته بأسلوب الوسوسة وهذا ما قام به إدريس لما لجأ مستضعفا لأخيه في الوقف الذي طلب منه ،ومعرفة إن كان له نصيب منها حتى يضمن لأولاده مستقبلا، وبالإحاح منه ومن زوجته أميمة أقبل على فعلته التي كشفه بها الجبلاوي وطردهما حسب الرواية "...فقال الرجل بصوت غليظ، غادرا البيت قبل أن تلقيا خارجا، وفتح الباب الكبير ليشهد هذه المرة خروج أدهم وأميمة مطرودين...³ .

وهنا يظهر إدريس مسرورا بفعلته التي دبرها ضد أدهم: "كان إدريس يضحك في سخرية وشماتة حتى أدهم وأميمة فوقفا يحملقان فيه...⁴ .

ونرى بأن الكاتب قد تجاوز في وصفه للجبلاوي ومقارنته بالذات العليا وذلك في توظيف صفات الظلم وعدم الرحمة والمغفرة وتوجيهها له وكأنه غير راض ومشككا في عدل الله ورحمته كما ارتكب عدة أخطاء لا ندري إن كان متعمدا فيها كتشويبه للدين أو عدم فهمه الصحيح وجهله لحقائقها لأن الله عز وجل خلق البشر وجعل استخلافهم في الأرض أمر مقدر له قبل خلق آدم وقبل أكله من الشجرة ليعمر الأرض ويعبد الله فيها في قوله وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ⁵ .

وما جرى لآدم في الجنة ابتلاء واختبار ليكون عبرة لمن بعده إلى قيام الساعة وليس عقوبة لذريته على خطيئته السابقة كما صورها لنا الكاتب في روايته، يقول الله عز وجل " يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

¹ - الرواية، ص 15.

² - سورة الحجر. 35-40.

³ - الرواية، ص 32.

⁴ - الرواية، ص 33.

⁵ - سورة البقرة الآية 30.

سَوَّاهُمَا¹ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ² إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ³.

فالله عز وجل في آيته الكريمة لم يقل كما أخرجكم وإنما قال كما أخرج أبويكم فالإخراج على وجه العقوبة إنما وقع لأبينا آدم وأختنا حواء فقط وفي ذلك حكمة من الله. كما أن العيش في الأرض ليس ظلما من الله وليس عذابا بحد ذاته وإنما هو خير وسعادة إن كان في طاعة الله ورضاه وإقامة شرعه، والله سبحانه ﷻ عادل غير ظالم كما صوره الكاتب فهو لا يجعل الذنب ذنبا لمن لا يفعله فهو القائل "أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" الآية 39 سورة النجم كما أن من المعلوم أن إبراهيم كان أبوه كافرا ولم يؤاخذه الله بذنوبه "أزر" فكيف يؤاخذه بذنوب آدم وهو أبوه الأبعد.

كما يقول تعالى في دليل عدله " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ⁴ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا⁵ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ⁶ ".²

وقد نزه القرآن الكريم الله عز وجل عن الظلم بأقسامه "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكْ حَسَنَةً يَّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا"³.

وفي ختام الرواية نجد أن الكاتب قد تمادى بسذاجة في الحديث عن الله وراء شخصية "الجبلاوي" وجعل لشخصيته نهاية (سقوط) على يد "عرفة" الذي رمز له بالعلم وكأنه يريد أن يقول أن دور الدين قد توارى وانتهى من الحياة وأن زمن العبودية قد مضى ولا بد أن يحل محل الدين العلم، فدعوته تحرر ساذج فكيف يكون للوجود استقامة وحياة دون سلطة عليا كما أراد من خلال شخصيته وهذا من شأنه أن ينقض الدين ويزعزع الإسلام وثوابت الإيمان في نفوس المسلمين ولطالما وجد على مدار تاريخ البشرية من يناهض الدين ويدعوا إلى الإلحاد ومنه يتضح أن الكاتب لم يوفق في وصفه هذا ولم يكن ناقلا أميناً للعقيدة الإسلامية ولصفات الله العليا سبحانه وهو الذي لم يكن لعباده ظالما.

1 - سورة الأعراف الآية 27.

2 - سورة فصلت الآية 46.

3 - سورة النساء الآية 40.

3 - 2 - شخصية أدهم:

أدهم هو ابن الجبلوي وهو أقل سنا من إدريس ومن أم أخرى فهو ابن جارية يتميز هذا الأخير بالتواضع والأدب وبره بوالديه، تولى إدارة الوقف باختيار من الجبلوي وهو صاحب البشرة السمراء أو هو بعبارة أخرى آدم الذي خلق من تراب والذي أمر الله الملائكة أن تسجد له فعصى إبليس أمره كذلك هو الحال بالنسبة لإدريس وأدهم، فقد كان أدهم عاشق للحديقة والمتيم بسحرها وظلالها وألوانها ينعزل بنسيمها يعيش كل لحظاته يلاحظ ويتأمل في تفاصيلها، ذات يوم لمح أميمة وأعجب بها وهي من معارف والدته لها بشرة سمراء تماما كبشرته، وأميمة هو اسم تصغير لكلمة الأم وهنا قرب الكاتب صفاتها واسمها وشخصيتها بشخصية أمنا "حواء" وكما هو شائع عند طائفة من البشر إن حواء هي من تسببت في إخراج آدم من الجنة فحسب ما جاء في الرواية فان أميمة من دفعت بزوجها إلى عصيان والده وألحت عليه حتى رضى بذلك مع أنه كان رافضا في البداية، وفي هذا تكريس للفكرة الإسرائيلية التي تجعل من حواء المسؤولة عن أكل التفاحة أما في القرآن فالفكرة مختلفة تماما فالشيطان وسوس لآدم وحواء معا وأكلا من الشجرة معا، وصور الكاتب إلحاحها له في روايته "...نعرف مستقبلنا ونقدم إحسانا كبيرا إلى إدريس التعيس الذي لن يكلفنا هذا الإقراء ورقة دون أن يدري احد"¹

وتقول أيضا لو كنت أعرف القراءة لذهبت بنفسي إلى الصندوق الفضي وألحت عليه مستخدمة في ذلك ذنبه كذريعة لإقناعه لما استقبل أخاه في الوقف، قائلة " إذاً جاز لك أن تخالفه فيما قد يضرك فكيف لا تخالفه فيما يفيدك ويفيد أخاك ولا يضر أحدا " هكذا استطاعت إقناعه بأن يتسلل لغرفة الجبلوي وقراءة الحجة وكانت حواء في نظر الكاتب هي من ألحت على آدم بعون الشيطان أن يقرب الشجرة المحرمة.

فبعدها كان أدهم يأنس بالحديقة ابتعد عنها قليلا بعد إدارته الوقف ثم طرد منها مغضوباً عليه لفعلته إلى جانب إدريس ويقول الله عز وجل في صدد هذا السياق " قَالَ اهْبِطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا أَيُّكُمْ مَنِي هُدًى فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى "².

ويقصد بكلمة جميعا أي آدم وذريته، وإبليس وذريته بعد أن خرج أدهم وأميمة من البيت الكبير وسكنا في بيت آخر قرب البيت الكبير، فلم يريد أن يبتعدا حتى ينالا رضى الجبلوي، فأخذ أدهم يكدح ويشقى في الحارة بعناء ليكسب قوته من عمله ويظل

¹ - الرواية، ص 27.

² - سورة طه الآية 123.

إدريس يستهزأ لحاله ويدعوه لترك العمل والسطو على ممتلكات الغير بدل أن يشقى ليل نهار لكن أدهم بقي متمسكا "بحزاره" كما نزل آدم إلى الأرض فقد سعى لنيل رضى الله في الدنيا والآخرة وبمرور بضعة أشهر ولد عند أدهم "قدري" وهو يرمز له بقابيل وبهابيل وعملهما في رعي الأغنام وهي المهنة التي يقوم بها هابيل في حقيقة القصة ويلاحظ التقارب الكبير في اختيار الكاتب لحروف اسم همام وأدهم وإدريس وقدري، فكل من الاثنين يشبه الآخر في شخصيته، ولأن همام صاحب القلب السليم والروح الطيبة، فإن جده "الجبلاوي" دعاه للعيش في البيت الكبير، وأن يتزوج ويبدأ حياة جديدة فيه وهذا ما بعث الغيرة في نفس قدري، وذات يوم وبينما الحقد يستولي على روحه ويأخذ تمام عقله اشتد شجار كلامي بينه وبين همام وأخذ يستفزه بغضب، ومن بين ما قاله "ما أبخسك حين تتظاهر بالحكمة"¹ ونجد أن الغضب قد تسلط عليه وأذهب عقله فارتكب جريمته وانحنى "قدري" بسرعة والنقط حجرا وقذف به أخاه بكل ما أوتي من قوة وقتل قدري همام أو بعبارة أخرى قتل قابيل هابيل وركبه الخوف فحفر لأخيه بين الجبل والصخرة حفرة كبيرة ودفنه هناك وأخذ يغطي الدماء بالرمال والحسرة والندم تمزقان ضميره وهي الصورة المماثلة لقصة هابيل وقابيل يوم قرأ أنه يعبد الله فقدمنا قربانا ولم يتقبل من الله قربان قابيل فاغتاظ وقتل أخاه هابيل في الحقل بدافع الغيرة و الحسد وهذا ما توضحه الآية الكريمة "وَإِذْ قَالُوا لَوْلَا رَبَّنَا هَذَا إِذْ نَبُؤُا قَوْمًا كَانُوا يَكْفُرُونَ" ² من أَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ³

كما أنه دفنه كما دفن قابيل هابيل " فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ" ³ وبعد ذلك حل المساء وقدري عاجز عن حمل ساقيه إلى البيت وحيدا مستكرا لجريمته كلما سأله والديه عن أخيه همام وانتهى به الحال بالاعتراف لوالده الذي أبى أن يعلم "إدريس" بذلك حيث لا يتهم عليه بلسانه وإذا به يعلم ما حدث لأنه ببساطة يمثل دور إبليس الذي يرانا ولا نراه بقربنا ولا نعرفه ومضت الأيام وساءت حالة كل من "أدهم" و"أميمة" وبلغ أدهم من الهرم ما لم يبلغه في عمر مديد واشتدت كلمات إدريس الساخرة عليه "واحد قتله الهوى والثاني خذلوه الأحباب" وهذا ما رآه ضعفا وحسرة، وأتاه الجبلاوي ليلتها مشفقا لحاله فعفى عنه ورضي عليه وعلى زوجته، وهنا كان الخطأ في نقل قصة سيدنا آدم عليه السلام فعندما طرد الجبلاوي أدهم كان غاضبا منه ولم يعف

¹ -الرواية ص53.

² - المائدة الآية 22.

³ المائدة الآية 31.

عنه إلا بعد عشرين سنة وهذا خطأ لأن الله قد عفا عن آدم قبل هبوطه الأرض كما هو مذكور في القرآن الكريم: " فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"¹

3 - 3 - شخصية "جبل":

هو من أحفاد الجبلاوي وفي عهده انتشر الشر من خلال شخصية المدعو "ناظر الوقف" الذي تربى وعاش في بيئته (كما يصبح للفتوات حصة كبيرة في الحارة، وتوكل حقوق الناس في الوقف وتحديدا في آل حمدان الذي ينتمي إليه جبل)².

جبل شخصية تشبه في أحداث قصتها شخصية موسى عليه السلام وربما استعمل الكاتب هذا الاسم دلالة على الجبل الذي وقف عليه موسى عليه السلام وهو جبل الطور بسيناء، كما أن اسم جبل يدل على الشموخ والرفعة والعلو وربما استعمله كون الجبل هو أول من تكلم مع الجبلاوي بعد أدهم أو بعبارة أخرى أن موسى أول من كلمه الله بعد آدم عليه السلام قال تعالى " وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا"³.

أي دون واسطة (وحي)، إضافة إلى ذلك فإن اسم جبل مشتق من اسم الجبلاوي وربما يريد من خلاله الكاتب أن يوضح العلاقة بينهما وانتسابه لحارة (آل حمدان) حتى يكون قريبا من حارته وأهله كما قربت أم موسى من ابنها بحجة الرضاعة، فمولد جبل شبيه بمولد موسى عليه السلام فكلاهما من أرض مصر وكلاهما ولدا في أسرة فقيرة وتمت كفالتهما من طرف أسرة ذات مكانة وسلطة. فحسب الرواية أن الهانم قد رأت طفلا صغيرا يستحم في حفرة مملوءة بمياه الأمطار فمال قلبها له كونها محرومة من الأمومة وعلمت انه يتيم ترعاه بائعة دجاج فطلبت منها التنازل عنه ورحبت بذلك كل الترحيب⁴.

ومن زاوية أخرى نجد قصة سيدنا موسى عليه السلام الذي حملته أمه وأخفته خوفا من فرعون الذي كان يقتل كل أبنائهم في ذلك الوقت ولما وضعته أوحى لها الله أن تلقيه في اليم وقامت بذلك فالتقطته زوجة فرعون وأحبتة واتخذته أما لها. في قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْفَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ⁵.

وبالحجة التي أدخل الله بها سيدنا موسى عليه السلام إلى قصر فرعون دخل بها جبل إلى قصر "الناظر الأفندي" بها جبل قصر، حيث تعلم القراءة والكتابة، ولما بلغ

¹ البقرة الآية 37.

² - سورة النساء الآية 164.

³ النساء الآية 164.

⁴ - الرواية ، ص 92.

⁵ - سورة القصص الآية 7.

رشده و لاه الأفندي إدارة الوقف وبما أنه رمز إلى شخصية موسى عليه السلام، فقد اتصف بالعدل والأمانة إذ كان يمقت الظلم ويميل إلى حارته رغم تهجمهم عليه بنظراتهم غير أن ذلك لم يمنعه بأن يسعى جاهدا لرد حقوقهم ومكانتهم، وفي أيام منع فيها التجوال خرج جبل إلى المكان الذي كان يختلي به قدرى وعندها فإذا بشخص يدعى "دعس" يخترق النظام ويراه أحد العاملين لدى الناظر ويطارده فلما لمح جبل وراء الصخرة استغاث به فاستجاب له دون تردد كيف لا وهو الذي طالما رفض الظلم الذي يتعرض له أهل حارته وبتدخله ودون أن يتعمد ذلك ألقى به ميتا فهو عبد صالح يخشى أن يتلخخ يوما بجرائم الظالمين وهذا ما جعله متحسرا على فعلته محاولا إخفاءها فاشترك مع "دعس" في دفنه والندم يعتلي وجهه ، كذلك هو الحال لما وكز موسى عليه السلام الفرعوني الذي تخاصم مع الرجل من بني إسرائيل وأسقطه قتيلا وهو لم يكن يريد قتله يقول في كتاب الله عز وجل " قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ"¹. ولما كشف أمر "دعس" رد عليه بقوله "يا لك من جاحد يا دعس"، وفي النص القرآني " قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ"²

وفر هاربا إلى سفح الجبل ثم سوق المقطم ليشاهد هناك تزاخم كبير حول حنفية مياه عمومية ووسط الزحام فتاتان تراجعتا بصفيحتين فارغتين فأقبل إليهما وقام بمساعدتهما وهنا تجسدت قصة موسى عليه السلام مع بنات شعيب لما ورد مدين كما يظهر في قوله تعالى " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۗ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۗ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ ۗ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"³.

ولما أعجب الشيخ بصنيع جبل وبإلحاح من ابنته استضافه في بيته كونه ابن حارته وبعد مدة قص عليه قصته وطلب ابنته شفيقة وعلمه مهنة معاشرة الثعابين، كما علمه كيف يخفي بيضة في جيب متفرج ويستخرجها من جيب متفرج آخر ثم إنه رفض تلك الحرفة التي كانت شبيهة بمعجزة موسى عليه السلام " قال ألقها يا موسى فألقها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى"⁴ وفي إحدى الليالي المظلمة وبينما هو راحل يكاد يصطدم بشبح جده الجبلوي وهو يقول له: "قف" يا جبل لا تخف أنا جدك الجبلوي وأنت ممن يركن

¹ الفصص الآية 15.

² الفصص الآية 18.

³ - سورة القصص الآية 23-24.

⁴ - سورة طه الآية 21.

إليهم وما أسرتك إلا أسرتي وهم لهم في وقفي وبالقوة تهزمون البغي وتأخذون الحق وتحيون الحياة الطيبة وسيكون النجاح حليفك" كذلك هو الحال لما سمع موسى عليه السلام نداء ربه قال تعالى "إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى"¹.

فحمل جبل أهله وعاد لبلده بحرفته الجديدة وقوته التي صنعتها كلمات جده فواجه التغابن التي حلت على جارتته مقابل استرجاع كرامة أهل آل حمدان وحقوقهم ولما خلق الناظر بعهدده صنع جبل وأهل جارتته مكيدة لأعوانه الفتوات وانهاالوا عليهم ضربا إلى أن هجرتهم أنفاسهم ومضى بعدها لبت الناظر واستعاد حقوق آل حمدان كاملة تماما كما حمل موسى رسالته ومعجزاته ودخل مصر وقابل فرعون وانتهت رحلته بانتصاره بعد هلاك فرعون ورفضه الاقتناع وعلى عدل جبل وحكمته أصبحت الحارة تحترم وتخشى الوقوع في الخطأ واستقامت الحياة في عهده وعرفت الحارة الأمن والاستقرار وأصبحت تسمى حارة آل جبل إلى أن وافته المنية وتجسد هذه الشخصية سيرة سيدنا موسى عليه السلام وفرعون الطاغية.

3 - 4 - شخصية رفاة :

شخصية رفاة شخصية مسالمة تدعو إلى الحب والتسامح والابتعاد عن الحقد والعيش في أمان عن طريق تخليص الناس من عفاريتهم وهي نفس معجزة المسيح عيسى عليه السلام بن مريم عليها السلام في إبراء الأكمه والأبرص يقول القرآن بلسان المسيح: "وَأُبرئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ"².

وقد اختار الكاتب اسم "رفاعة" لعدة دلالات فهو اسم مشتق من الفعل رفع أي أن الكاتب يحمل الشخصية حملا ثقيلًا في طرده لعفاريت الناس وتطهيرهم منها وبديل هذا الفعل أيضا على حمل الرسالة والمجاهرة بها دون خوف أو تردد، كما أن اسم رفاة يوحي في معناه إلى ارتفاع القدر والارتقاء إلى رتبة أعلى مثلما جاء في قصة سيدنا عيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء، كما ورد في القرآن الكريم قال "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ إِنِّي مُنَوِّقُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"³.

وأورد الكاتب أن "رفاعة" كان من "آل جبل" وكأنه أراد بذلك أن يصح تلك الأفكار الشائعة عند كثير من الناس أن عيسى هو ابن الله وأنه معجزة في أن يولد دون أب، ويؤكد أنه من سلالة موسى عليه السلام ولقد أراد أن يبيث معجزة

¹ - سورة طه الآية 12.

² - سورة آل عمران 49.

³ - سورة آل عمران 55.

عيسى عليه السلام من خلال شخصية رفاعة بطريقة مختلفة قصصية، بعد عودة رفاعة إلى حارته أخذ يميل إلى سماع حكايات أسرار العفاريت إلى أن سمع صوتا صادرا من البيت الكبير يدعوه لإصلاح الناس، واستطاع بذلك أن يحصل على مكانة في قلوب أهل حارته خاصة الفقراء منهم، وبعدها ذاع صيته أجمع الناظر وأعوانه من الفتوات على إيجاد حل لرفاعة الذي أصبح يهدد قوتهم، وفي أحد الأيام وبينما هو في حيه صادفه فتى يقال له الكاتب "بطيخة" من باب احتقار الكاتب لشخصيته، فقام بلطم رفاعة لكمة قوية أزجعت أهل الحي، فقاموا بردهه مستخدمين الطوب. وعلى إثر هذه الحادثة تم الاتفاق في اجتماع الفتوات على قتله، كما خشي أحبار اليهود أن يتبع دعوة المسيح عليه السلام أعدادا كبيرة من الناس ثم يحصل إفساد وضلال الأحبار من اليهود وانفق في ذات الوقت رفاق رفاعة على مساعدته في الهرب. وهنا يدخل الكاتب العنصر النسوي ليكسر به النقل الحرفي لقصة سيدنا عيسى عليه السلام محاولة منه لتضليل القارئ بأنها رواية بعيدة عن سيرة عيسى عليه السلام والقالب الديني عن طريق شخصية "ياسمينه" التي يعتبر اسمها صورة منافية تماما لما تحمله شخصيتها فقد كانت قبيلة الخلق سيئة السمعة وهذا ما جعل أهل الحي في أن يسعوا لقتلها حتى تنظهر الحارة من رذيلتها غير أن الشخصية المحورية رق قلبها وتقدمت بمنع قتلها مقابل الزواج بها ورغم أنها نجت من موتها المؤكد إلا أنها استمرت في علاقاتها المشبوهة فقد نقل خبر هروبها إلى الفتوة "بيومي" الذي كانت تربطه بها علاقة غير أخلاقية. وشخصية ياسمينه هنا رمز لشخصية "يهودا الأسخريوطي" إذ أنه حين وصل خبر لسيدنا عيسى عليه السلام بأن الحاكم وبعضا من أحبار اليهود ينوون قتله توارى عن الأنظار وأخبر مجموعة من حواريه ومناصريه بمكانه فوشى يهودا عنه مقابل دراهم معدودة لما أرادوا قتله، كما أوشت ياسمينه عن رفاعة مقابل حبها للفتوة بيومي ليكون آخر من نطق به لسان رفاعة هو "يا جبلاوي" ربما استنجادا به حسب الكاتب أو إيمانا بوجوده وسماعه لصرخته، وساد صمت لم يسمع خلاله إلا الحشجة وأخذت الأيدي تحفر الأرض بقوة في الظلام ليتسلل رفاقه بعد مغادرة الفتوات ويخرجوا جثته ويدفونها في المقبرة إكراما وحباً له، يقول صديقه كريم: "كانت حياتك حلما قصيرا، لكنها ملأت قلوبنا بالحب والنقاء وحين انتشر نبأ وفاته في الحارة، وهنا يرمز إلى سيدنا عيسى حين رفعه الله وهو في عمر 33 سنة، توجه الناس مسرعين للبحث عن جثته فلم يعثروا على شيء وتسلل بعدهم الفتوات ليلا ولم يجدوا شيئا غير التراب وتضاربت الآراء فمنهم من يقول أن جثته ظلت ملقاة حتى حملها الجبلاوي فواراها التراب في حديقة الفناء، ومنهم من يقول غير ذلك، وهنا يجسد الكاتب نهاية سيدنا عيسى عليه السلام في اختلافها العقائدي بين المسيحية والإسلام

حيث أن اليهود والنصارى آمنوا بأن فئة من بني إسرائيل صلبوا عيسى وقتلوه إلى أن أوحى القرآن ونفى ذلك قال تعالى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا...¹".

وقد عاش رفاق "رفاعة" بعده حزنا عميقا وقد أخذوا عهدا على أنفسهم بالانتقام من الفتوات كما أجمع الرفاعيون أو بعبارة أخرى الحواريون على الولاء والتقديس له ولوالديه ليصل حبهم في محاكاته إلى العزوف عن الزواج وهنا يرمز إلى الرهبة.... وقد أراد الكاتب من خلال روايته تكذيب ما جاء في القرآن الكريم من حقائق مثل أن المسيح عيسى عليه السلام لم يرفع وإنما قتل ودفن وذلك من خلال أصدقائه ما جعل من الفتوات (اليهود) وأهل الحارة (أي النصارى) يظنون أن "الجبلاوي" قد أخذه إلى حديقته الفناء، والحقيقة التي نقلها لنا القرآن أنه لما غدر اليهودي بعيسى عليه السلام ألقى الله عليه شكله، فظنوه هو فأخذوه وصلبوه وقتلوه عدواً فرجع الله سيدنا عيسى عليه السلام بحكمة إلهية لأن ميلاده كان دون أب وهو ما قد يشير الجدل أكثر لو مات ودفن وسكنت جثته الأرض لأن العلماء ما كانوا ليكشفوا عن البحث واكتشاف كيف يمكن للإنسان أن يخلق دون أب، لكن الله عز وجل شاء وأراد أن تبقى حادثة رفعه معجزة لا يطلع عليها أحد من خلقه ولتبقى الحادثة شاهدة على قدرة الله، حيث ينزله الله في آخر الزمان ليظهر الأرض ويكسر الصليب وينشر العدل ويكمل مسيرة الدعوة وهذا ما يؤكد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"² رواه البخاري .

3 - 5 - شخصية قاسم:

يعد قاسم آخر الأبطال الأخيار في الحارة وأكثرهم تأثيرا، فهو الذي جمع أشلاء الحارة بعدما تناثرت وسيطر الفتوات عليها، فلم يأت لتحقيق الخير في حي واحد فحسب مثلما فعل رفاعة وجبل بل جاء لضمان حصول جميع الحارات على الخير دون استثناء، وتظهر الرمزية في قصة قاسم بداية من اسمه فهو إشارة إلى كنية الرسول محمد ﷺ، ثم يذكر أن قاسم سكن حي الجرابيع ويشير الكاتب هنا إلى مكة حيث نشأ الرسول عليه الصلاة والسلام ومنها بعثه الله وفي اسم الحي وصف لحال أهل مكة من فقر وظلم وسيطرة قبل نزول الرسالة .

¹ - سورة النساء 157-158.

² - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، بيروت، ص222.

وإلى جانب ذلك وظف مؤشرا آخر غير مباشر إذ جعل قصة قاسم تحمل الخير والأحداث الخارقة باعتبارها آخر رسالة من الجبلابي لإرشاد أهل الحارة كافة وتحريرهم من ظلم الفتوات تماما كرسول الله ﷺ حين بعثه الله للناس كافة وجعله آخر الأنبياء والمرسلين - ليحرر الناس من العبودية - ويخرجهم من الظلمات إلى النور قال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" سورة سبأ، 28..¹ وزيادة على ما سبق فقد أسقط الكاتب طفولة قاسم على طفولة النبي ﷺ فقد عاش قاسم يتيما فقيرا في طفولته فكفله عمه زكريا ووظف اسم زكريا تشبيها بالنبي زكريا الذي كفل مريم عليهما السلام، عمل راع للغنم وهو عمل الرسول ﷺ والذي قال فيه "ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم كنت أراها على قراريط - جزء من الدينار والدرهم لأهل مكة -"²

كان من بين غنم "قاسم" نعجة لسيدة ثرية أرملة لرجل ذي مكانة في الحارة تدعى "قمر" ولما رأت هذه الأخيرة خصال الصدق والأمانة في قاسم بعثت بجاريتها لتعرض عليه الزواج الأمر الذي عارضه في البداية عمها "عويس" لتقول بحدة "دلني يا عمي على رجل مهذب مثله في حارتنا، دلني ولو على رجل واحد لا يباهي بعمل من أعمال البلطجة والوحشية....قاسم رجل مهذب لا ينقصه إلا المال وعندي منه الكفاية"³

خطبها له عمه زكريا وتزوج بها وهي في سن الأربعين وعلى ذكر ما سبق نلتمس تجسيدا واضحا لزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالسيدة خديجة رضي الله عنها حيث كانت ذا مال كثير ونسب رفيع وكانت تعمل في التجارة وحين بلغها أن محمدا رجل صادق في قوله أمين في عمله كريم في أخلاقه استأمنته على الخروج تاجرا بأموالها مع غلام لها يدعى "ميسرة" مقابل أجر، فخرج عليه الصلاة والسلام تاجرا إلى بلاد الشام وجلس في الطريق تحت ظل شجرة قريبة من راهب، فأخبر الراهب ميسرة بأن من نزل تحت ظل تلك الشجرة لم يكن إلا نبيا، أخبر ميسرة خديجة بقوله مما كان سببا في طلبها للزواج من محمد عليه الصلاة والسلام فخطبها له عمه حمزة وتزوجت وهي في سن الأربعين.⁴

عاش قاسم حياة هادئة رفيقة زوجته ورزق بطفلة "إحسان" التي زادت هما سعادة في الحياة، غير أن قاسم حبب له الخلاء وكان كثير التأمل وفي أحد الأيام عثر مغشيا عليه وبعد فترة أخبر "قمر" بقصته لتكون أول من يسمعه "هناك تحت

¹ - سورة سبأ، الآية 28.

² - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، بيروت، ص2262.

³ - الرواية، ص 244.

⁴ - موسى بن راشد العازمي: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، جزء1، دار الصمعي، الرياض، ط1، 2019، ص111.

صخرة هند وأنا وحدي في الليل والخلاء...كنت جالسا أتابع سير الهلال وإذا بصوت قريب يقول بعتة: مساء الخير يا قاسم، فارتعدت من المفاجأة التي لم يسبقها صوت أو حركة ورفعت رأسي، فرأيت شبح رجل ميزت ملابسه البيضاء والعباءة التي يتلفع بها وقلت له وأنا أداري غيضي مساء الخير، من أنت؟ فأجابني أنا قنديل، أنا قنديل خادم الجبلابي"¹.

وهنا اقتباس لقصة نزول الوحي على الرسول ﷺ²، حين كان يخلو بغار حراء في شهر رمضان متفكرا في خلق الله وإبداعه في الكون، حيث نزل عليه جبريل وقال له: "اقرأ فرد الرسول ما أنا بقارئ وتكرر الأمر ثلاث مرات وقال الملك في الأخير "اقرأ باسم ربك الذي خلق" فجاء إلى خديجة وهو في حالة فزع شديد مما حصل معه فطمأنته أم المؤمنين رضي الله عنها.

بدأ قاسم في دعوته للناس وتزايد أتباعه سرا من بينهم "قمر ورفاعة، حسن، صادق" وجعل له مقرا ولما علم الناظر بذلك أرسل إليه وضربه وهدده، تماما كبداية الرسالة المحمدية سرا بين أهل البيت ومن كان فيهم الصدق والرغبة في معرفة الحق وكانت زوجته خديجة وأبو بكر الصديق وغيرهم أول من آمنوا بدعوته، ثم انتشر الإسلام شيئا فشيئا بمكة إلى أن جهر بالدعوة بعد الإسرار بها.

وبعد مدة مرضت "قمر" ولزمت الفراش لترحل في إحدى الليالي الحالكة مودعة قاسم، مخلفة له الطفلة "إحسان" الفتاة التي كانت بمثابة البسمة الوحيدة في حياة قاسم وهي تمثيل للسيدة فاطمة في حياة الرسول ومدى حبه لها، وبينما قاسم شاردا في حزنه طرقت عليه الباب وإذا بطفلة تدعى "بدرية" أخت صادق رفيقه تحذره من مكيدة كان الفتوات يدبرون لقتله في ذات الليلة، فأرسل ابنته رفقة الجارية واستطاع اللحاق بأنصاره إلى الحي الجديد الذي استقبل فيه بحرارة وتزوج بدرية أخت صادق بعدما أحبها وأعجب بخفتها، فقد كانت رسول نجاته من الفتوات .

هذه الصورة التي كانت بمثابة انعكاس لما عاشه النبي ﷺ في عام الحزن الذي توفيت فيه خديجة سنده ومرض عمه أبو طالب الذي كان يحميه من أذى قريش فاستغلت قريش موقف مرضه وبدأت بالتعرض على رسول الله بالأذى الشديد ولما توفي عمه حزننا شديدا وسمي ذلك العام بعام الحزن³ .

¹ -الرواية، ص255 .

² -صفي الرحمان المبارك فوري: الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، ط1، ص 127-130.

³ -عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، ص 94-96.

هجر النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أين حظي بترحيب أهلها وكرمهم وأخى بين المهاجرين والأنصار خاض عدة معارك بهدف إقامة الحق والدعوة إلى توحيد الله وإكرام المرأة وغيرها من مبادئ تهذب السلوك والعقل ذلك ما صوره الكاتب ضمن شخصية قاسم حين علمت الفتوات بمكانه وتعرضوا له ودارت بينهم عدة معارك حتى استطاع في النهاية أن يقضي على سلطة الفتوات وأعاد الوقف لأهله بما فيهم النساء وسمى حيه بالقاسميين.

وذكر الكاتب في آخر وصف له لقاسم "...والى ذلك كله كان ظريفا بشوشا أنيقا وعشيرا فضلا عن ذوقه الجميل وحبه للغناء والنكتة وأنه لم يتغير من شأنه شيء، اللهم إذا توسع في حياته الزوجية، فعلى حبه بدرية تزوج حسناء من آل جبل وأخرى من آل رفاعة وأحب من الجرابيع ثم تزوجها وقال أناس في ذلك أنه يبحث عن شيء افتقده منذ فقد زوجته الأولى قمر وقال عمه زكريا أنه يريد أن يوثق أسبابه بإحياء الحارة جميعاً¹، كذلك هو الحال لما واجه أعداء الإسلام سهامهم إلى تشريع التعدد في الإسلام فقد حاولوا تشكيك المسلمين في رسولهم بحجة أنه شرع لأمة التعدد إلى أربع نساء وأباح لنفسه أكثر من ذلك فقد توفي وفي عصمته تسع نساء وحاولوا أن يلقوا في روح المسلمين أن الدوافع الشهوانية كانت وراء ذلك قال تعالى: "كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا"²، فقد كان في زواج النبي ﷺ حكمة عظيمة، فمعظمهن تزوجنهن إنقاذاً لهن من الفتنة والضياع إضافة إلى ذلك أن المصاهرة تؤلف القلوب وتوثق العلاقات وفي أحداث التاريخ كم توقفت حروب بين القبائل العربية بسبب المصاهرة، كما أن فيه حكمة اجتماعية تتمثل في نوع من التكريم لوالديهما مثال ذلك زواجه من عائشة بنت الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكذلك حكمة تعليمية فقد كانت أمهات المسلمين مرجعاً لنساء الصحابة رضوان الله عليهم، فحياة الرسول ﷺ أنموذجاً عظيماً للاقتداء بها قال تعالى "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً"³.

وبعدما تحقق العدل مات قاسم وخلفه "صادق" وسار على سيرته ورأى طائفة من القوم أن "حسن" أحق بالنظرية لقرابته من قاسم، وهنا يشير الكاتب إلى طائفة الشيعة وبعد موت صادق سال الدم من جديد وصار لكل حي فتوته وتمنى الناس لو عادت أيام "قاسم وصادق" مرة أخرى تماماً لما نحن عليه اليوم من طوائف وما تعانيه الأمة من فتن وصراعات.

¹ - الرواية، ص321.

² -سورة الكهف، الآية 05.

³ - سورة الأحزاب، الآية 21.

3 - 6 - شخصية عرفة :

تعد شخصية عرفة آخر الشخصيات الروائية اشتق اسم هذه الأخيرة من مصطلح المعرفة التي أصر الكاتب أن يجعلها شخصية مجهولة الهوية رغم إنتمائها إلى الحارة امتحن عرفة السحر وصنع وصفات للطب والدواء وما فيه فوائد للناس جاء مكذبا محتقرا لكل ما سمعه عن جبل ورفاعة وقاسم في قوله " كل منهم يفاخر برجله بغباء ويفاخرون برجال لم يبق منهم إلا أسماؤهم ولا يحاولون أن يجاوزوا الفخر الكاذب"¹، تزوج عواطف ابنة الشيخ شكرون الذي قتل على يد أحد الفتوات مما زاد في رغبته في الانتقام من جميع الفتوات، اشتق الكاتب هذه الشخصية من المعرفة لتكون بمثابة رمزا للعلم الذي تطور بعد عهد الأنبياء والرسول وقد كان عرفة لا يؤمن إلا بما يراه كذلك كالعلم لا يؤمن إلا بالتجربة وما هو ملموس وموجود ليصور لنا الكاتب بعد ذلك صراعا بين الدين والعلم تمثل في تحدي عرفة للجبلابي الذي تسلل إلى مقره بغية الحصول على سر قوته، وفي رحلته نحو البحث عن سر القوة لبعث الخير إلى الحارة أصبح مجرما بقتله لخادم الجبلابي خوفا من كشف أمره الأمر الذي جعل الناس تتهافت في الصباح التالي وتتعالى أصواتهم لمقتل جده تأثرا بموت خادمه وكبره الذي لم يعينه على الصبر أكثر² وعلى إثر هذه الواقعة تأزم الجدل لحد الفتنة بين أهل الحارة الذين اختلفوا في قرار دفن الجبلابي وكان الكاتب يريد أن يوضح لنا من خلال هذه الحادثة تضارب الأمم وصراع الديانات حول من هو أقرب وأحق نسبا من الآخرين هذا الصراع الذي جعله يتألم من وجع الفتن (مسلم - مسيحي - يهودي ...) ومن جهة أخرى نجده يصور لنا أضرار العلم لما يبحث في علم الغيبيات ويجاوز حدود العقل إذ أنه يؤكد أنه سلاح ذو حدين وأن التعمق فيه دون قيود قد يؤدي إلى الهلاك والضلالة والخروج عن الدين.

ومن مؤشرات العلم الحديثة التي ذكرها الكاتب بطريقة روائية غير مباشرة "الزجاجة السحرية" وهي الزجاجة التي استعملها عرفة لصد مطارديه والتي أرادها منه الناظر مقابل التستر على جريمته كذخيرة له، تشير هذه الزجاجة إلى الأسلحة المتطورة من قنابل وغيرها.

عاش عرفة شبه حبس في بيت الناظر يدفع ثمن الحياة مقابل صنع الزجاجات السحرية ومع مرور الوقت أصبحت تصرفاته شبيهة بتصرفات الفتوات في مجونهم مما جعل زوجته تتبعد عنه، لبث في حياة اليأس والندم على جريمته إلى

¹ - رواية أولاد حارتنا، ص329.

² - رواية أولاد حارتنا، ص330.

غاية وصول رسالة الجبلاوي له عن طريق الخادمة، ذلك المؤشر الذي أراد الكاتب من خلاله إبراز منزلة العلم الرفيعة عند الله فقد شرف الله تعالى العلم والعلماء وميزهم عن سواهم قال تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَنْبَاءِ" سورة الزمر الآية 9¹ وفي حديث للنبي ﷺ "إنما العلماء ورثة الأنبياء" وفي آية أخرى قال تعالى "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"².

الهدف من تصويره استغلال الناظر لشخصية عرفة رمز لاستغلال بعض القوى لثمرة العلم في أمور مضرة بالعالم، وعلى إثر هذه الرسالة ارتاح ضمير عرفة وقرر الهرب فلجأ إلى مأوى زوجته لاصطحابها معه لكن لم يحالفه الحظ وقبض عليه ودفن وزوجته لكنه أنقذ كراسة السحر ورمى بها في مكان استطاع صديقه "حنش" العثور عليها إذ كانت بمثابة أمل لأهل الحارة في تخليصهم من شر الناظر وأصبح عرفة في نظر أهل حارته الرجل الصالح بل اعتلى مكانة من جبل ورفاعة وقاسم ورغم موته جعل الكاتب كراسته أملا للجميع في عودة الأمن والسلام والتخلص من العبودية ورحلة "حنش" في تطويرها تؤكد استمرارية العلم وازدهاره كما أن إيمان عرفة بوجود الجبلاوي وسعادته برسالته خمودا لنار الصراع بين العلم والدين .

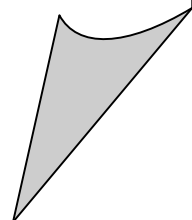
وفي الأخير يصل بنا الكاتب من خلال روايته إلى استحالة توازن الوجود بالعلم دون الدين وأن وجوب تلازمهما في الحياة ضرورية لابد منها فالله عز وجل مصدر العلم قال تعالى " قُرْأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) "³.

¹ -سورة الزمر، الآية 9.

² - سورة المجادلة، الآية 11.

³ - سورة العلق، الآية من 1- 5.

خاتمة

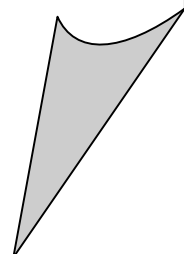


خاتمة :

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي ستزيد من وضوح العمل وفهم غايته وهي كالآتي :

- ساهم المنهج السيميائي في التعمق في قراءة شخصيات الرواية.
- أثبت العنوان أنه علامة سيميائية، حيث جمع مضمون النص دون تفصيل ولا تفسير مما يدل على توافقه والنص.
- ظهرت شخصيات هذه الرواية منفصلة في شكل حكايات غير أنها في الآن نفسه مترابطة في أحداثها بحيث لا تكتمل حكاية دون الأخرى.
- ساعدت كثرة الشخصيات إضافة إلى التدقيق في وصفها على توليد عنصر التشويق.
- تهدف الرواية في دراستها إلى عرض القضايا الاجتماعية كحرية المرأة، العدالة الاجتماعية، المساواة، القضاء على الطبقة كما طرحت بعض مشاكل المجتمع كالفقر، شرب الخمر
- الرواية عبارة عن محطة جمعت أحداث تاريخية كبرى وقضايا سياسية من طغيان واعتدال.
- صور الكاتب حالة الحارة من واقع الحياة المصرية وصور شخصيات الرواية من قصص الرسائل السماوية وأبرز ثنائية الخير والشر من القصة الكونية (قابيل وهابيل) وأسقطها على واقعه.
- تدعو الرواية وبصورة غير مباشرة إلى الربط بين الدين و العلم.
- ترك الروائي نهاية مفتوحة لاستحضار دور القارئ وخياله .

المأخوذ



نبذة مختصرة عن حياة نجيب محفوظ:

هو الأديب العالمي الذي ولد عام 1911م في محافظة القاهرة، له العديد من الأعمال الأدبية التي أثرت في الأدب. اسمه الكامل نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد باشا وهو الأخ الأصغر لإخوانه، كان شديد التعلق بوالدته، وقد أثرت فيه هي الأخرى بشكل كبير ولعبت دورا كبيرا في غرس التسامح الديني في نفسه واقتناعه بالبعد عن فكرة التعصب وأن الرموز الدينية كلها بركة على حد قوله. وهذا كان له بالغ الأثر في كتاباته تميز محفوظ بحبه الشديد وولعه بالقراءة، مما أثر فيه وفي صقل موهبة الكتابة وتعلقه بالأدب. وكان له عمالقة يحب أن يقرأ له وهم سلامة موسى وتوفيق الحكيم إضافة لعباس العقاد، كما تعلق بقراءة الأدب الإغريقي وتعرض بعد تخرجه من كليته عام 1934م بضائقة، حيث تم منعه من السفر إلى فرنسا في البعثة التي تم ترشيحه لها بسبب الاسم القبطي له إذا اتجه بعدها إلى التفرغ للتأهيل للأدب في عامه العشرين وقام بتأليف مجموعة من القصص أطلق عليها اسم "ثمن الضعف". حصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1988 من أهم أعماله رواية السراب، ثرثرة فوق النيل، بداية ونهاية، الشحاذ، الحب تحت المطر، المرايا، الشيطان يعظ، أولاد حارتنا، وبسبب هذه الرواية التي بين أيدينا حاولوا اغتيال الكاتب سنة 1955 لما يوجد بها من أفكار اعتقد البعض أنها تدعو للإلحاد وظل محفوظ على قيد الحياة حتى عام 2006 إذ اشتد مرضه نتيجة لبعض الأزمات الصحية وكبر سنه ليفقد العالم أديب عالمي طالما عرف بعبقريته الشديدة في الأدب والكتابة بشكل مشوق وبالرغم من موته إلا أنه ما يزال محتفظا بشهرته وأعماله.



نجيب محفوظ

ملخص الراوية:

استوحى نجيب محفوظ هذه الرواية من القرآن الكريم، وقد وظف مجموعة من الشخصيات، من بينها الشخصية الرئيسية التي امتد وجودها من بداية الرواية إلى نهايتها، وهي شخصية الجبلوي، التي مثلت دور الأب المسيطر والمتحكم في الأمور كلها. والذي له مجموعة من الأولاد، ومنهم إدريس الابن الأكبر وهو الابن المكلف بأمر الوقف والذي يتصف بالتواضع والحكمة. لكنه حسب الرواية سرعان ما تجرد من أخلاقه، ليصبح الابن العاق لوالده بعدما تولى أخوه "أدهم" إدارة الوقف بدلاً منه، الأمر الذي أفقده صوابه وجعله فظاً غليظاً يسخر ويتكبر وينفاخر بمظهره وأصله على أخيه كونه ابن جارية وأسر، معترضاً على أمر والده رافضاً التنازل على منصبه باعتبار أنه أكبر إخوته وهو من له الحق والأولوية على البقية، في حين لزم الإخوة الثلاث الصمت والخضوع لأمر والدهم، ما دفع بإدريس لشتيمهم متعمداً تجريحهم وبعثهم بالجبناء، وزاد تمرد أكثر لينتهي به الحال مطروداً من البيت الكبير مغضوباً عليه إلى الأبد من طرف والده.

بعد أن تسلم "أدهم" الوقف أصبح أكثر نشاطاً وفطنة يقوم بعمله ويقدم الحساب إلى أبيه، ليمضي أوقات فراغه بالحديقة ويستمتع بنسيمها وهدوءها. وقد تزوج بجارية من أقارب والدته تدعى "أميمة" وسارت أمورهما بشكل جيد إلى أن اكتشف والده ذات يوم حمل إحدى الجاريات، فثار غضبه بعدما أقرت أن إدريس هو من اعتدى عليها، فقام بطردها من البيت هي الأخرى ليأويها "إدريس" ويبني لها كوخاً قرب البيت الكبير. وعلى إثر ذلك دبّر إدريس مكيده لأخيه وتسلسل إلى إدارة الوقف ليكلم أخاه حول أمر الميراث، مستعظفاً إياه بمصير أولاده، إذ طلب منه الوصول إلى الحجرة الموجودة جنب حجرة "الجبلوي"، للتأكد ما إن كان له فيها حصة له. وما دفعه على ذلك إصرار زوجته على الأمر بعدما أخبرهما عما جرى، فشجعتة على أخذ المفتاح من قرب فراش "الجبلوي" للدخول إلى الحجرة. أين كشف أمرهما من طرف الوالد فور دخولهما وأمر بطردهما من البيت الكبير، تماماً مثلما طرد إدريس قبله لينجح في انتقامه من أخيه.

بنى "أدهم" كوخاً قرب البيت الكبير وهو مثقل بالندم والحسرة رافضاً الإبعاد متمنياً نيل الرضا والعفو من أبيه. وبدأ يعمل في بيع الخيار، ومع مرور الوقت أنجبت زوجته "قدري" و"همام" اللذين عملا في رعي أغنام والدهما، تلك الأغنام التي أفنى العمر في تحصيلها، وذات يوم وبينما هم كذلك تفاجأ الجميع برسول "الجبلوي" في طلب "همام" للتعرف عليه ومقابلته واقترح عليه العيش في البيت الكبير بحكم سيرته

وخلقه الطيب فرفض "همام" هذا الطلب وفضل العيش بالقرب من والديه، على أن يسكن البيت الذي طالما تمنى والده الرجوع إليه والى حديقته وراحته، مما أثار غيرة أخيه "قذري" ليطرحه قتيلاً في إحدى الأيام بسبب خلاف بسيط بينهما، فقام بدفنه في الخلاء، ليعترف لولديه بعد طول بحث وإنكار منه بجريمته.

ينتقل الكاتب بعد أحداث القصة الأولى إلى قصة أخرى، وهي قصة "جبل" حيث تبدأ بعد أن أغلق "جبل" أبوابه ومات أبناء "الجبلاوي" في سن مبكر وصار من أهل الحارة، البائع والجوال.... الخ. وصارت تجارة المخدرات تكبر وتنافس الآخرين، فاعتزل "الجبلاوي" وبقي في البيت وأغلق على حاله وترك أحفاده متخاصمين على الميراث. وأقام آل حمدان في البقعة التي كان يقيم فيها أدهم، وكان هناك بيت للناظر "الأفندي" هذا ما جعل الكثير من آل حمدان يطالبون بحقهم في الوقف، كان لآل حمدان ولد تربى في بيت "الناظر" دون علم أحد لمن يكون وصار يعمل في الوقف بالتزام، ليفاجئه ذات يوم صراخ أحدهم إثر تعرضه لهجوم من أحد أعوان "الناظر" فيطرحه قتيلاً فور تدخله فارتعب لفعلته وقام بدفنه خفية بمساعدة من كان يصارع، ليفضحه ذات يوم في اجتماع خاص، فقام "جبل" بعدها بالفرار، ليجد نفسه أمام سوق المقطم وهناك رأى مجموعة من الناس تتزاحم لتتملاً أو عيتها، ووجد وسط الزحام امرأتين فقام بمساعدتهما لضعفهما وبعدها علم والدهما بصنيع "جبل" فقام باستدعائه وزوجه البنت الصغرى بعدما سمع قصته وأسكنه بيته ثم قام بعد مدة بتعليمه السحر وترويض الثعابين، وذات يوم قرر "جبل" العودة لحارته وفي طريقه التقى "الجبلاوي" بأهله وأراد بعدها أخذ حقه من الوقف، فقام بمقابلة الناظر وطالبه بحقه وحق آل حمدان، فرفض الناظر بغضب، وفي ذلك الوقت انتشرت الثعابين في الحارة وعلم الناظر أن الجبلاوي يعرف كيفية التخلص منها فاتفق معه أن يساعده ويعيد له الوقف لكنه أخلف بوعده ونصب مكيدة انقلبت عليه في النهاية ودخل بعدها آل حمدان إلى البيت الكبير وقام جبل برد كل حقوقهم من الناظر.

وفي القصة الثالثة من الرواية يتحدث الكاتب عن "رفاعة" ابن النجار الذي فر به والداه سابقاً خوفاً من أن يسلب منهما، وبعد مدة كبر الشاب وأراد العودة إلى حارته للتعرف عليها كونه لم يسمع عنها من قبل، وعند عودته أدمن على حكايات الشاعر وزوجته حول الحارة، كان آل "جبل" يتحسرون على زمن "جبل" وعدله. وعرف "رفاعة" أن جبل لم يكن هدفه إلا أن تكون حياته هادئة غير أن "جبل" أراد أن يستعيد الحق بالقوة، أما رفاعة ففضل أن يردده بالمهادنة والكلمة الطيبة. وصادف ذات يوم موقف فتاة كان أهل الحارة يتشاورون بين قتلها وجلدها فتدخل وخلصها من الموت بزواجه منها زواجاً شكلياً ثم انتقل إلى حي بجوار حي "جبل" ليستقر هناك وكان عمله طرد العفاريت وبعدها انزعج الفتوات لوجوده بدأوا بالتحرش به، غير أنه تمكن بطيبته

كسب الضعفاء وكل الناس في الحارة فاجتمعوا تحت قيادته وبدأوا بالمطالبة بالوقف، ولم يكثرث للقوة وللجاه أبداً، حتى اتهمه الفتوات على أنه عاجز عن امتلاكه للوقف. وقامت زوجته التي خانته بكشف أمر هروبه مع أصدقائه عبر الأسطح قبل الفجر، وبمجرد علم الفتوات بذلك حاصروه، وتمكن رفاقه من الهرب، بينما قتل هو ودفن في مكانه، ليأتي أصدقاؤه بعد ذلك ليحولوا جثته إلى المقبرة، ثم قتلوا زوجته، وقاموا بإعادته للحياة وتلقينهم أسرار علمه في التخلص من العفاريت، وانفجرت بعد ذلك ثورة انتصر فيها رفاق "رفاعة" وعلت مكانتهم وتناقلت الناس حديث نقل جثة "رفاعة" إلى حديقة الجبلوي.

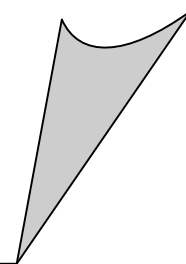
بعد ذلك ينتقل بنا الكاتب إلى قصة راعي الغنم، فبعد أن توارى زمن "رفاعة" عاد الزمن إلى الوراء حاملاً معه الظلم والفقر في وسط تلك الأحياء التي لا قيمة لها، يقع حي "الجرابيع" الذي ولد فيه قاسم وترعرع في حضن عمه وزوجته، كونه يتيم ولد قرب فتوة حيه، كان يسمع بقصص "جبل" و"رفاعة" لكنه لا يستطيع الحكم بينهما لصغر سنه.

كبر قاسم وكان قريباً في محبته وحنانه من خصال رفاعة، غير أنه كان محباً للنساء عمل في رعي الغنم ومن بين غنمه نعجة لسيدة تدعى "قمر" غنية وذات مكانة، وكانت عطوفة على قاسم، كما كان له ابن عم يعد صديقاً لا مثيل له في حبه ووقاره له.

ذات مرة سرقت محفظة أحد الرجال في الحارة واحتار الفتوة في أمرهم، فتدخل قاسم وأنهى الخلاف وكان هذا الموقف سبباً في رفع مكانته. وأعجبت به "قمر" فأرسلت جاريتها إليه لتطلب الزواج منه رغم كبر سنهما بعدما رفضت كبار رجال الحارة، فوافق "قاسم"، وكان يهرب من العمل ويذهب إلى الخلاء ليجلس بمفرده، وذات مرة فقد وعيه وبعدما أفاق أخبر زوجته أنه التقى بخادم "الجبلوي" وأخبره بأنه قد اختاره لأمانته وصدقه، ثم روى لحسن وصادق عما رأى وكانوا ثاني من يصدق به بعد زوجته، كان قاسم يهدف إلى زرع المساواة والعدل بين الناس جميعاً حتى النساء، هذا ما لم يتكلم عنه "جبل" و"رفاعة"، كانت مهمته تشمل الحارة كلها وليس حياً محدداً، واتهم بأنه يريد الفتوة لنفسه، غير أنه نفى ذلك، ورغم ذلك فشل، وبعد موت "قمر" هاجر "قاسم" خوفاً على نفسه وابنته من القتل ليملك فوق جبل مقطم وتزوج أخت صادق الصغرى "بدرية" واستقر مع من هاجر معه هناك، وعاد مرة أخرى للقضاء على الفتوات، وكان همه تخليص الحارات من الإرهاب والدم، فجرت عدة حروب منها ما انتصر فيها ومنها ما انهزم فيها، وكان هدف الناظر القضاء على قاسم وأتباعه إلى أن، مات "حجاج" وفتوة رفاعة" واتهم فتوة جبل" بقتله، ونشبت حرب بينهما، وفجأة ظهر "قاسم" ومعه رجاله داخلين الحارة من أجنابها معلنين أنهم أبناء الحارة والوقف للجميع، كانت تلك

آخر معركة لقاسم" وصار ناظراً للحارة وحاكماً لها، وقام قاسم بعدها بزيارة البيت الكبير، فودعهم كبيراً وصغيراً وقام بتوزيع الوقف وصار حييهم معروف "بهي قاسم" ورحل قاسم مثلما رحل السابقون ليظهر بعده فتى يدعى "عرفة" مجهول النسب وكل ما يعرف عنه أنه حفيد "الجبلاوي"، فدخل الحارة بعد زمن قاسم بفترة قليلة امتهن السحر، حيث يصنع وصفات الطب والدواء وما فيه فوائد للناس جاء عرفة محتقراً مكذباً لكل ما سمعه عن جبل "ورفاة" و"قاسم" كان لا يؤمن بوجود "الجبلاوي" ويغضب لسماع أحد ينادي باسمه، تزوج عواطف ابنة الشيخ "شكرون" الذي قتله الفتوة لشدة تعلقه بأيام "قاسم" مما زاد في رغبته في الانتقام إلى جانب انتقامه لأمه، وكان يتحدى "الجبلاوي" ويريد الحصول على سر قوته، فتسلل إلى البيت الكبير وصادف شيخاً أسوداً نحياً من الخدم فقتله، وفي الصباح التالي تعالت الأصوات بموت "الجبلاوي" الذي تأثر بمقتل خادمه، كان سلاح "عرفة" الزجاجة السحرية عكس ما كان يمتلكه الفتوات"، ولما كشف الناظر جريمته أرسل إليه ليصنع له الزجاجات مقابل أن يتكتم عن جريمته وذات يوم جاءه رسول من خادمة "الجبلاوي" تقول أن "الجبلاوي" مات وهو راض عنه ما جعله يتأثر ويقرر الهرب، فتسلل ليلاً ليصطحب زوجته "عواطف" معه، لكن لم يحالفهم الحظ وقام برمي كراسة السحر التي كان يدونها قبل أن يمسك به، دفن وزوجته ودعا عليهما أهل الحارة، وبعدما زاد الظلم عليهم عاد رفيق عرفة المسمى "حنش" باحثاً عن كراسة رفيقه وذلك ما أعاد لهم بصيص الأمل في الخلاص من ظلم الناظر وتغيرت نظرتهم "عرفة" واحتل مكانة أعلى من مكانة سابقيه.

المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع:

1- القران الكريم : برواية حفص عن عاصم.

أولاً: المصادر

1-نجيب محفوظ: رواية أولاد حارتنا، مكتبة مصر للنشر ، مصر، ط1،
1959.

II - المعاجم :

1 – إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط ، معجم اللغة العربية، المكتبة
الإسلامية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان، مجلد 07، ط1، 2000.

2- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج12، دار صادر، بيروت،2004.

3- فيصل الأحمد ، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم
ناشرون، لبنان، ط1، 2010.

4 – محمد القاضي وآخرون ، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار
الغرابي، لبنان، دار تالة، الجزائر، دار العين، مصر، دار الملتقى، المغرب .

5 – لطيف زيتوني، معجم المصطلحات، نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان،
ط1،2002.

III - المراجع :

أ- المراجع العربية :

1- إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية
للاتصال، الجزائر، ط1، 2002.

2- أحمد لحميداني: بنية الخطاب السردية من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي
العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

3- أحمد مختار عمر: اللغة و اللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،
ط2، 1997.

4- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب
العلمية، بيروت، 1998.

قائمة المصادر والمراجع

- 5- بسام قطوس: سيمياء العنوان، ط1، دار الحوار للنشر، دمشق، سوريا، 2001.
- 6- بشرى البستاني: قراءات في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 7- جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.
- 8- حافظ المغربي: أشكال التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر (دراسات في تأويل النصوص)، لبنان، ط01، 2010.
- 9- حلومة التجاني: البنية السردية في قصة النبي إبراهيم عليه السلام، دراسة تحليلية سيميائية في الخطاب القرائي، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013 – 2014.
- 10- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
- 11- عبد الحميد هيمة: علامات في الإبداع الجزائري، مدرسة الثقافة ولجنة الحفلات، سطيف، الجزائر، ط1، 2000.
- 12 - عبد الحق بلعابد: عتبات لجيرار جينات من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- 13 - رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة الجزائر، 2000.
- 14- رشيد يحيياوي: الشعر العربي الحديث دراسته في المنجز النصي، إفريقيا الشرق المغرب، لبنان، ط1، 1998.
- 15- سعيد بن كراد: سيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها) منشورات الزمن، الدار البيضاء المغرب، د ط، 2003.
- 16- سيزام قاسم ونصر حامد أبو زيد: (السيميوطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد) ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر، ط 1، 1987.
- 17 - عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1934.
- 18 - عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، الكويت، دار البحوث العلمية، ط1.
- 19 - شادية شقرون: (سيميائية العنوان في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي)، الملتقى الوطني الأول للسيمياء والنص الأدبي، بسكرة، 7-8 نوفمبر 2000، منشورات الجامعة.
- 20- شعيب خليفي: هوية العلامات في بناء العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، يناير، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

- 21- صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث، منشورات السابع أفريل، ليبيا، ط1.
- 22- صبيحة عودة زعرب، غسان كنفائي: جماليات السرد في الخطاب الروائي، مجدلاوي، عمان، ط1، 2005.
- 23- صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، بيروت، دار الهلال، ط 01، 1979.
- 24- صلاح صالح: السرد وسرد الآخر (الأنا الآخر عبر اللغة السردية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت، ط1، 2003.
- 25- طائع الجداوي : سيميائيات التأويل، الإنتاج ومنطق الدلائل المركز الثقافي العربي، ط1، 2006.
- 26- عبيدة صبطي بخوش نجيب: مدخل إلى السيمولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 1430هـ ، 2009.
- 27- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2010.
- 28- عبد القادر رحيم: علم العنونة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 2010.
- 29- محمد الهادي المطوي: شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ماهر الفاريق، مجلة عالم الفكر، المجلد 28، عدد 1، 1991.
- 30- محمد بوعزة: تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010.
- 31- مراد عبد الرحمان مبروك: جيو بوليتكا، النص الأدبي، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002.
- 32- محمد سالم محمد الأمني الطلبة: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، دراسة نظرية تطبيقية في سيميائي طبقا السرد، الاستثمار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- 33- مصطفى عبد الباقي: نجيب محفوظ الثورة والنصوص ، الهيئة العامة للكتاب مكتبة الأسرة، مصر، 2002.
- 34- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، (د،ط)، 1987.
- 35- محمد فكري الجزار: العنوان وسيميولوجيا الاتصال الأدبي، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
- 36- موسى بن راشد العازمي: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، الرياض، دار الصميمي، جزء 1، ط 2019.
- 37- ميجان الروبلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 3، 2005.

قائمة المصادر والمراجع

- 38 - عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدن"، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، بن عكنون، الجزائر.
- 39- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان مصر، ط1 ، 2003.
- 40- يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر من الأنسوئية إلى الألسينية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002.

ب- المراجع المترجمة:

- 1 - أنانيو: تاريخ السيميائية، تر: رشيد بن مالك مراجعة عبد القادر بوزيدة و عبد الحميد بورايو، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح ، جامعة الجزائر ودار الآفاق.
- 2 - ترنس هوكز: البنيوية وعلم الإشارة، تر:مجيد ماشطا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986.
- 3 - توسان برنار: ما هية السيميولوجيا، تر: محمد لطيف، ط 2، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000.
- 4 - دانيال تشارلز: أسس السيميائية، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح و رخاء كامل زايد، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.
- 5 - روبرت شولز: السيمياء والتأويل، تر: سعيد الغانمي، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، ص 14.
- 6- ميشال وآخرون: السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.

ت- الموسوعات و المجالات والدوريات :

- 1- جميل الحمداوي: السيموطيقا والعنونة، مجلة علم الفكر ع3، وزارة الثقافة، الكويت، 1997.
- 2- عبرة عونّ: التصورات والمفاهيم الأساسية للسيمياء و السرد و الخطاب، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 06، طبع المؤسسة العمومية الاقتصادية لأشغال الطباعة، جوان 2002.

قائمة المصادر والمراجع

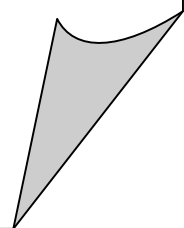
3- نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، مصر، ط3، 2003.

ث- الرسائل و المذكرات :

2- زهيرة بنيني، بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان (مقاربة بنيوية) رسالة دكتوراء، جامعة باتنة، الجزائر، 2007.

3- عمروش سعيدة، سيميائية العنونة في ديوان أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار ليوسف و غليسي، رسالة ماجستير، جامعة سطيف، الجزائر، 2012 .

المحتويات



المحتويات	رقم الصفحة
مقدمة.....	أ- ب
مدخل.....	03
الفصل الأول نشأة السيمياء و مبادئها	04
1- المطلب الأول: ماهية السيمياء	
1-1 تعريف السيمياء.....	05
2-1 نشأة السيميولوجيا.....	08
3-1 مبادئ السيميولوجيا	11
2- المطلب الثاني: سيميائية العنوان	
1-2 تعريف العنوان	17
2-2 وظائف العنوان	19
3-2 أنواع العنوان	21
4-2 أهمية العنوان	25
3- المطلب الثالث: سيميائية الشخصية	
1-3 مفهوم الشخصية	26
2-3 تقديم الشخصية	28
3-3 أصناف الشخصية	30
الفصل الثاني: سيميائية الغلاف والعنوان والشخصيات	33
1- سيميائية الغلاف	34
2- سيميائية العنوان	36
3- دراسة سيميائية الشخصيات:	
1-3 شخصية الجبلأوي	38
2-3 شخصية أدهم	41
3-3 شخصية جبل	43
4-3 شخصية رفاعة	45
5-3 شخصية قاسم	47
6-3 شخصية عرفة	51
خاتمة	53
- الملحق (نبذة عن حياة الكاتب)	56
- ملخص الرواية	57
- قائمة المصادر والمراجع	61
- المحتويات	67

ملخص المذكرة:

يحاول البحث في هذا المقام الكشف عن سيميائية العنوان وعلاقته بنص الرواية، ليتصف العنوان عندئذٍ بسيميائية مميزة اختصاراً ودلالة لأنه يعتبر الأساس الذي تنطلق منه الرواية، كما أن العمل الروائي يتيح القدرة على التشخيص بحيث تصبح الشخصية قادرة على التعبير عن أي مضمون في شتى المجالات، وعليه فقد حاول هذا البحث، دراسة سيميائية الشخصيات ودلالاتها والكشف عن أبعادها الدينية والسياسية والاجتماعية التي أراد الكاتب طرحها بأسلوب روائي في رواية أولاد حارتنا للكاتب المصري "نجيب محفوظ" هذه الرواية الواقعية التي كتبت في "401" صفحة والمتكونة من خمسة قصص متضمنة أحداث تدور في حارة "الجبلاوي"، معتمدين على المنهج السيميائي باعتباره أداة لقراءة المعنى و الذي يهتم بدراسة الدلائل والعلامات.

الكلمات المفتاحية :

العنوان – السيميائية – الشخصية – الغلاف – أولاد حارتنا .

Note summary:

The research in this regard tries to uncover the semiotics of the title and its relationship with the text of the novel, so that the title is then characterized by a distinctive semiotic in short and meaning and is considered the basis from which the novel starts, and the work of fiction provides the ability to diagnose so that the character becomes able to express any content in various fields, and accordingly This research attempted to study the semiotics of the characters and their connotations and to reveal their religious, political and social dimensions that the author wanted to present in a fictional style in the novel Children of Our Neighborhood by the Egyptian writer "Naguib Mahfouz. This realistic novel, which was written in "401" pages, consists of five stories, including events taking place in the "Al-Gabalawi" neighborhood, using the semiotic method as a tool for reading the meaning, .which is concerned with the study of signs and signs

key words:

Title - semiotics - personality - cover - children of our neighborhood .